

## البنية النفسية – الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

د. خضر محمود عباس

دكتورة في علم النفس – الصحة النفسية

**ملخص:** يتناول هذا البحث في أحشائه الخطاب الرباني في القرآن الكريم الذي يتعلق بقوله تعالى "يا أيها الناس" وذلك فيمنظور علم النفس.

ويهدف هذا البحث إلى مناقشة جميع الآيات القرآنية، وما يتعلق بهامن آيات أخرى التي يبدأ فيها المولى بخطابموجة إلى الناس قاطبة، لبيان العمق النفسي في هذه الآيات بشكل مستقل، ثم بيان درجة الترابط والالتحام بين هذه الآيات في سياقها الموضوعي في القرآن الكريم ثم الربط بين جميع هذه النداءات بطريقة تسير غورها النفسي والاجتماعي.

وتتبع أهمية هذا البحث كونه يبين العمق النفسي للخطاب العام لرب العزة سبحانه وتعالى، وكيفية وضع هذا السياق في الموضوع بحيث يفيد الباحثين والمتخصصين في صياغة النص الخطابي بروح حركية تحيل النص إلى كائن حيمتحرك يتمتع بكمقومات الحياة، خاصة الجانب النفسي. ويبين البحث بأن أفضل طريقة للتخاطبمع الآخرين هي خطابهم بأصق الصفات التي يحبونها وبأفضل الألقاب التي تمثل حقيقتهم، مع الارتكاز على قاعدة نفسية تمثل جوهر هذا الخطاب.

### Speech in holy The psychological-social form for the general qoraan in speech "O mankind"

**Abstract:** This research discussed the LORD speech in the holy Quran to the all mankind as he says "oh mankind" from psychological view point.

The research aims to discuss all the verses in Quran that the God starts his speech to all mankind. To determine the psychological profoundness for those verses independently, it is important to clarify the correlation and relationship between those verses in the holy Quran, and the relation between all those speeches in a way that the versus turn the psychological pivot.

The importance of this research originates form that it explicates the psychological point of view for the general speech for God to Whom be ascribed all perfection and majesty, and the manner mode of putting this context in appropriate place, that it will be useful for the researchers, and all specialists in molding the speech text in a movable spirit, which enables to imagine the text as a movable living being have all living constituents, in particular social and psychological aspects.

The research depicted that the best way to address the others is to adhere with the speech the attributes they like and the titles that represent their reality, with support on the psychological base stand for the intrinsic nature of the speech

المقدمة:

عندما نتحدث عن البنية في أي تركيب سواءً كان في بنية لغوية أم بنية نفسية، فإنها تتكون من مجموعة عناصر مكونة لها، هذه العناصر لا تأتي بدرجة واحدة من حيث البناء والأهمية،

#### د. خضر عباس

بلمنها عناصر أساسية، تتمتع بأسبقية منطقية، إذ إنها لا تشتقمن غيرها، وإنما يمكن لغيرها أن يشتقمنها، وهي تتمتع بدرجة أكبر من التجريد. وعناصر أخرى مكملتها أو تشتقمنها. ولمعرفة أيمفهوم بنيوي يجب أن نطله، فنحدد عناصره الأساسية وعناصره الفرعية، وإذا أردنا أن نحلل البنية النفسية للنص كعناصر فرعية، لا بد من فهم البنية اللغوية لهذا النص كعناصر أساسية، ومن خلال التعرف إلى البنية الأساسية للعناصر اللغوية للنص القرآني في قوله تعالى "يا أيها الناس" نحاول أن نستخرج العناصر الفرعية الكامنة فيه، والتي تشتقمن أحشائه، وهي البنية النفسية له، وذلك لوجود علاقة، بين بنية المفهوم اللغوي، وبين بنية المفهوم النفسي.

وهذا البحث سوف يمثل إطلالة على الخطاب القرآني "يا أيها الناس" بما يحمل من تراكيب لغوية تمثلها المفردات والجمل، في علاقتها مع البعد النفسي والاجتماعي للمخاطبين، لكون اللغة هي "أداة الوعي الإنساني للمجتمع، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق التخاطب، وهي في الوقت نفسه أداة وعي الإنسان نفسه، لأن المعاني تتردد في أعماقنا دون أن نسمع لها صوتا بنوع من الحوار مع النفس قبل أن تخرج للآخرين". فالخطاب عبارة عن "جملة ما يصدر عن المتكلمين من أجل الإقناع والتأثير، وبالتالي لا بد لهذا الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار جملة من المعطيات، منها: مصالح المخاطبين، بالإضافة إلى القناعات المكونة التي قد تكون متوافقة مع ما يدعوا إليه هذا الخطاب أو متعارضة معه، وكذلك لا بد من مراعاة أحوال المخاطبين على أن يكون الخطاب مناسباً لمقتضى أحوال المخاطبين". (1)

ومن هنا فإنه "يجب على كل متكلم أن يراعي حال المخاطبين في كلامه، وينزل إلى مستوياتهم، وإلا فإنه لا يعتد بهم من جيد الكلام ومقبوله. فالنفس الإنسانية تتكون من قوتين قوة تفكير، ووجدان، وحاجة كل واحدة غير حاجة أختها، فإحدهما تنقب عن الحق لمعرفة، والخير للعمل به والأخرى تسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي هاتين الحاجتين ويطيير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظهما من الفائدة العقلية والوجدانية معاً". (2)

ولهذا سوف يعتمد الباحث البنية اللغوية للوصول للبنية النفسية، وذلك لما " للكلمة في كتاب اللهم نعمان عدة يجب التفتيش عنهما من خلال آيات المثاني، فالقرآن هو أولاً وأخيراً الذي يعطي المفردات معانيها المختلفة، وليست معاجم اللغة فقط، وهو الذي يغني اللغة العربية بمعاني المفردات وسياق الجمل في الآيات المثاني، والذي يعطي للكلمات معانيها وليس العكس". (3)

وبالتالي فإن كل "كلمة من كلمات القرآن لها وقعها الخاص في نفوس المستمعين، وكل عبارة تجمع في كلمات، لها صورة رائعة تصور المعاني بالصورة الكاملة، وأجزائها تعطي صوراً

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

وظلالا، وتتكون من هذه الصور الجزئية لوحة كاملة متناسقة تهز الوجدان وتترك في القلوب أعماق الأثر". (4)

ولهذا اعتبر العلماء أنه "يعرف فضل القرآن أكثر نظره واتساع علمه وفهم مآهبات العرب وافتنانها في الأساليب وما خص الله لغتها دون اللغات فإنه ليس في جميع الأمم أمه أوتيتم العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته لغة العرب". (5)

وأكد كثير من العلماء أنه قد "شمل الإعجاز في القرآن الكريم وجوها كثيرة ضمنها الإعجاز النفسي، والتربوي، وهذا ليس بدعوى الباحثين، ولا ترفعا عقليا، وإنما هو موجود فيمنهج سلفنا الصالح". (6)

والقرآن الكريم له "موقعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنه لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منشورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلبين اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلصه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الدجيب (اضطراب القلب) والقلق، وتفشاه من الخوف والفرع (الجزع) ما تفشع منه الجلود وتزعج له القلوب". .. كما قيل "أن للإعجاز النفسي عددا من المعاني، أحدها وقع القرآن في النفس، ومنها استخدام القرآن علمه عن طبيعة النفس البشرية، ومعرفة بشؤونها المختلفة ونواميسها التي تخضع لها لتأييد دعوته وحجته". (7)

وقد اعتبر بأن الإعجاز النفسي في القرآن "هو ما نلمح من تلك الآيات، وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ومما نجد من بيان لمكونات النفس وخفاياها، وقد يكون ذلك في الدنيا وقد يكون في الآخرة، فإنه قد تقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذا بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم بصورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية ولا تنسى مشهدا". (8)

حيث جاء الخطاب القرآني للفتنة الإنسانية التي فطر الله عليها الإنسان.. ولأنه كذلك فقد كان له إعجازا تأثيريا في النفوس، حيث "إن الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم، وجه مستقل قائم بذاته، من خلال بيانه للقدرة التأثيرية للقرآن الكريم على جميع مستويات الناس". (9)

ولأهمية الخطاب القرآني العام، لكونه يمثل خطاب رب العزة لعبادة الذي هو أدري وأخبر بمن خلق، وخاصة مكوناته الداخلية، وعلى رأسها البعد النفسي، فإن الباحث سوف يسعى لتحليل هذا الخطاب، للخروج بفائدة سيكولوجية للتعامل مع الناس، وقما يلائم البعد النفسي لهم.

### دواعي اختيار البحث (مشكلة البحث):

لقد لفت نظر الباحث تلك المعاني الجمّة للخطاب الرباني العام في القرآن الكريم، المبدوء "يا أيها الناس" الأمر الذي دفعه للتقريب عن العمق النفسي-الاجتماعي فيه، وإخراجه بحلة جديدة، قد تفيد الفرد والمجتمع، في فهم روح النص بما يمثل من حياة وفاعلية.

وقد عمد الباحث لتناول هذا البحث لما يكمن في طبيعتهممضامين لغوية ذاتمعانيمتعددة، ولما يكمن فيهمم علاقة بين النص ومحتواه النفسي والاجتماعي.. وهو ما دفع الباحث للتقريب على فهم العلاقة بين بنية النص وتراكيبه اللغوية، وبينما يحوي النصمضامين لمعاني جوانب نفسية واجتماعية.

### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على النصوص القرآنية، التي تناولت الخطاب العاممن قوله تعالى "يا أيها الناس"، واستخر اجما بهامن لطائف ومكونات وعلاقات نفسية واجتماعية، وذلك للتعلم والاهتداء على كيفية خطاب الناس على عموم أحوالهم، بخطاب يناسبمكونات ومداخل انفسهم.

### أهمية البحث:

تكمّن أهمية البحث فيما يلي:

- في نفس طبيعة الموضوع الذي يتناوله الباحث، من حيث كونه يقدم معرفة عن حقيقة العلاقة بين الخطاب وبين المخاطب.

- في كونهموجهاً بالدرجة الأولى للبناء المكون للبنية المجتمع (الإنسان)، ضمن وسائل تعتمد على التأثير على النفس.

- من كون إمكانية الاستفادة في انتقاء أفضل الأساليب التي تصلح لحال المخاطب.

- من إمكانية استفادة الأكاديميين، خاصة النفسيين والاجتماعيين والتربويين، وطلبة تخصصات علم النفس والاجتماع والتربية وغير ذلك في دراساتهم وأبحاثهم المستقبلية.

### منهج البحث:

سوف يعتمد الباحثمنهج طريقة البحث التوثيقي.. من خلال تحليلمحتوى النص، والذي هو عبارة عن "بذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص، بهدف استخر اجمبادئ تربويةمن الأدلة الشرعية". (10)

وبناءً عليه فقد تم جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع (وفق الترتيب التوقيفي للسور) ثم القيام بتصنيفها وتحليلها والربط فيما بينها، وبين البعد النفسي والاجتماعي، من خلال استعراض آراء علماء اللغة والتفسير وعلم النفس والاجتماع، والتعليق عليها حتى تظهر الفكرة واضحة جلية.

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

#### تعريف المصطلحات:

**البنية لغةً:** تشتق كلمة بنية من الفعل "بنى" الذي يدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء. وفي النحو تتأسس ثنائية المعنى والمبنى على الطريقة التي تبنى بها وحدات اللغة العربية، والتحويلات التي تحدث فيها، فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وكل تحول في البنية يؤدي لتحول في الدلالة. (11)

**البنية اصطلاحاً:** يعرف جان بياجيه البنية بانها "تسقم التحويلات يحتوي على قوانين خاصة، وهذا النسق يظل قائماً ويزداد بفضل الدور الذي تقوم به هذه التحويلات، دون أن يكون من شأن التحويلات أن تخرج عن حدود ذلك النسق". (12)

ويعتبر البعض بأن "موضوع البنيوية هو كل هذه الأشياء المحسوسة او المتصورة او المدركة. وأن التصور البنيوي للأشياء، هو الذي يمنح البنيوية طابعها الشمولي.. بمعنى إستغراقها لتلك الأشياء تصورياً" (12)

**النفس لغةً:** النفس في كلام العرب يجرى على ضربين، أحدهما قولك خرجت نفس فلان أى روحه والضرب الآخر: معنى التنفس فيهمعنى جملة الشئى وحقيقته. والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس والنفس يعبر بها عن الانسان. (14)

**النفس اصطلاحاً:** هي " كلمة تدل على الإنسان، وهو مركب من روح وجسد. والنفس: جمعها أنفس". (15)

**الخطاب لغةً:** أصله الفعل الثلاثي خطب، وقال الرازي وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وخطب على المنبر خطبة بضم الخاء وخطابه". (16)

**الخطاب اصطلاحاً:** "هو جملة ما يصدر عن المتخاطبين من أجل الاقناع والتأثير". (17)

أو هو " كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فية التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها". (18)

**التعريف الاجرائي للباحث:** البنية النفسية- الاجتماعية من الخطاب القرآني العام المبدوء بقولة تعالى: "يا أيها الناس" هي عبارة عن مجموع الصور الذهنية التي تمثل الرؤية النفس اجتماعية، التي خاطب بها المولى عزوجل الناس، في الخطاب القرآني العام، المبدوء بقولة تعالى: "يا أيها الناس".

### المبحث الاول: الإطار النظري

أولاً: عرض وتحليل عام لقولة تعالى "يا أيها الناس"

من تأمل الخطاب القرآني في أسلوبه وبلاغته، وفي تصريفه وتوزيعه، استبان له وجه بديع من أوجه الإعجاز النفسي، وخصيصة من خصائصه الأكيده، وبيان ذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطبين، على اختلاف أجناسهم، وأمكنتهم، ومللهم.. وهذا فارقٌ بديع في نوعيته الخطاب القرآني البليغ من غيرهم من سائر الخطابات. حيث إن الخطاب القرآني العام، قد خاطب فيه الله سبحانه الناس بصيغة العموم في بعض آيات القرآن. أي أنه في نداءاته وتوجيهاته يتسم بالشمول، حيث إنه لم يجعل نداءه إلى فئة دون فئة، أو جنس دون جنس، أو أهل دين دون غيرهم. بل شمل ذلك الخطاب أصناف العالمين المخاطبين على تنوع أجناسهم وألسنتهم وأديانهم التي يدينون بها.

وباستقراء آيات الخطاب العام في القرآن الكريم، نجد أن الله سبحانه وتعالى، قد وجّه الخطاب لعموم الناس في غير موضعين القرآن، وكل خطاب فيه له هدفه ومقاصده، ومجموع سياق هذه الآيات الواردة في خطاب الناس عشرون موضعاً، أربع مواضع منها هو في سياق خطاب الله للنبي صلى الله عليه وسلم، لدعوة الناس إلى أتباعه والإيمان برسالته.. وهي في قوله تعالى: - (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [الأعراف: 158].

- (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) [يونس: 104].  
- (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّمِّن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) [يونس: 108].  
- (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [الحج: 49].

أمّا الخطاب الخامس: فهو من سياق كلام نبي الله سليمان عليه السلام لقومه، في قوله تعالى: - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِنَا مَن كُلِّ شَيْءٍ) [النمل: 16].

أمّا عدا هذه المواضع فهي خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى عموم الناس، وهي مجال هذا البحث.. وهي خمسة عشر خطاباً، تتمثل في الآيات الواردة في قوله تعالى:

- 1- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 21].
- 2- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) [البقرة: 168].
- 3- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ نَفْسًا وَجَدَةً) [النساء: 1].
- 4- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّمِّن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ) [النساء: 170].
- 5- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) [النساء: 174].



#### د. خضر عباس

وقد تم حصر هذه الخطابات في خمس عشرة آية في كتاب الله تعالى، حسب الترتيب التوقيفي للمصحف الشريف. وهي عند استعراض جميع الخطابات القرآنية العامة، التي خاطب بها المولى عزوجل الناس مباشرة، بقوله تعالى: "يا أيها الناس" نجد أن جميع هذه الآيات قد بدأت بخطاب واحد هو خطاب الجنس "يا أيها الناس" المراد فيه جنس الناس لا كل فرد.

وبدأ هذا الخطاب العام بقوله "يا" التي هي كما قال الزمخشري "حرف نداء وضع في أصله لنداء البعيد، كونه صوتاً يهتف به الرجل بمن يناديه. وأما نداء القريب فله أي وهمزة، ثم استعمل فيمناداتهم سها وغفل، وإن قرب فتنزيلاً لهمنزلة من بعد، وإن نودي به القريب المفطن، فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوهمعني به جداً" (20)

وقيل بأن "يا" ينادي بها القريب لتنزله منزلة غيره، إما لعلمرتبة المنادي أو المنادي، وقد ينزل غفلة السامع وسوء فهممنزلة بعده، وقد يكون ذلك للإعتناء بأمر المدعو له والحث عليه لأنه نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحث. (21)

واستخدم المولى عز وجل في الخطاب القرآني العام حرف النداء "يا أيها" للتبنيبه ولفت النظر واستراق السمع، وهو نداءمقصود ومعرف، وإن كان فيه تعميم، لكون الخطاب لم يظلمبهماً، وإنما أضيف إلى الناس على عمومهم، في كل زمان ومكان.

وقال الزمخشري بأن "أي" وصلة إلى نداءما فيه الألف واللام.. وهو اسمبهممفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء.. وفي هذا التدرجمن الإبهام إلى التوضيح ضربمن التأكيد والتشديد". (22)

وقال الألويسي بأن "ها" التنبهية زائدة لازمة للتأكيد والتعويض كما تستحقمن المضاف إليه، أو ما في حكمهم التتوين" واعتبر بأن لفظ "الناس" اسم جمع على ما حققه جمع، والجموع أسماؤها المحلاة -بأل- للعموم حيث لا عهد خارجي كما يدل عليه وقوع الاستثناء، والأصل فيه الاتصال يقينا ولا يتصور إلا بالعموم". (23)

وأما سبق حرف "ال" لفظ (الناس) فهومن قبيل التعريف للمسند إليه.. كونه يتم التعريف بالإضمار أو العلمية، أو الموصولية، أو الإضافة أو الإشارة، أو بآل". (24)

وللفظ (الناس) اشتقاقان: فمن العلماءمن يقولمشتقةمن النوس، والنوسمن الحركة، ومنه قول أم زرع في وصف أبي زرع كما في حديث عائشة رضي الله عنها: (أناسمن حلي أذني) أي:ملاً أذني حلياً حتى اهتز الحلي فيها. ومن العلماءمن يقول: إن (الناس)مشتقةمن النسيان؛ لأن هذا شيء جُبِلَ عليه الناس حتى الأنبياء، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:(إنما أنا بشر أنسى كما تنسون)، وقال عليه الصلاة والسلام:(فنسي آدم فنسيت ذريته). (25)

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

وقد جاء الخطاب في قوله تعالى بالتعريف (يا أيها الناس) باسم الإشارة وبالعلمي "وبالنداء.. وهنا قصد المخاطب أن يكون المسند إليهم مختصاً بحكمهم، وهنا تمييز بالإشارة الحسية أُل لأنه لا يأتيمعها اشتباه أصلاً.. وفي هذا تمييز لهذا المخاطب بأعظم تكليف وهو تكليف (العبادة).. وهذا يعني تمييز المخاطب أكمل تمييز لاقتضاء الحال.

وخطاب "يا أيها الناس" المراد فيه جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب وإنما قصد به النوع من حيث هو" .. "ويستعمل الجمع أحياناً لقصد بيان الناحية الاجتماعية أو لتقسيم الناس زمراً، كاستعماله كلمة الناس بدل الإنسان لبيان الناحية الاجتماعية أو لبيان أن الحكم الإلهي ينزل على الناس بالعدل فهم سواسية أمامه". (26)

وإذا انتقلنا من المنظور اللغوي للنص للمنظور النفسي والاجتماعي، نرى معانٍ كثيرة تحتاج الوقوف عندها ففي قوله تعالى "يا أيها الناس" دعوة إلى المشاركة، والدعوة إلى المشاركة تتم بالدعوة إلى التفكير وعمليات عقلية أخرى كالتدبر والتعقل والتذكر والتأمل والتبصر والتخيل.. الخ. (27)

وخاطبهم المولى الخطاب المعتمد على منهج الالتفات حثاً لهم على الإصغاء، وتوجيهها لقلوبهم نحو التلقي، وجبرا لما في العباد من الكلفة بلذيق المخاطبة، بقوله (يا أيها الناس) والخطاب هنا للناس على العموم لتذكيرهم بما غفلوا عنه، أو ربطوا مصدره بالمصادر القريبة الظاهرة، ولم يرجعوا إلى السبب والمسبب الأول لها، كمن يرى يدا تتحرك خلف ستار، ولا يستنتج أن وراءها شخصاً. وتظهر المكونات النفسية- الاجتماعية بشكل واضح جلي، بقوله تعالى "يا أيها الناس"، حيث حشد في هذا اللفظ المكونات النفسية والاجتماعية ما يطرق القلوب، ويثير النفوس، ويوقظ العقول، لسماعا يريد المنادي، كونه قد أستعمل ألصق الكلمات التي تحمل عمقاً نفسياً يجبر السامع على الاستماع له.. وفي هذا مدخل لكل الدعاة والمصلحين، ولكل الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين للاهتمام بمداخل الحديث نفسياً واجتماعياً، لضمان تجاوب المستمع مع ما يريد الخطاب منه.

وعند تحليل الخطاب نرى بوضوح الدلالة النفسية - الاجتماعية العميقة، التي غطي فيها النص المجالين الأهم في الكينونة البشرية، وهما العوامل الروحية العقدية، والعوامل النفسية الاجتماعية. والتيمن أظهر هذه المكونات هو لفظ "يا أيها الناس" ذاته، لما فيهم وقع نفسي- اجتماعي جلي الظهور والوضوح، كون المخاطب ينادي المخاطبين بحقيقتهم وكيونتهم، بدون زيادة أو نقصان، ويستخدم في ذلك لفظ مشترك محبوب لديهم جميعاً، هو خطاب "يا أيها الناس" باعتباره خطاباً موحداً للجميع، لا تمييز ولا تفاضل ولا خصوصية لأحد فيه، وهو يتعدى حدود الزمان والمكان، لأنه خطاب يدخل تحت منطوقه كل الناس - لا يستثنى أحداً منهم - في كل مكان وزمان دون تمييز أو

## د. خضر عباس

تفريق. سواء أكان ذلك على مستوى الافراد أم الشعوب، لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا وبين ذكر وأنثى، وبين صغير وكبير، وبين غني وفقير، وبين عظيم ووضيع.. فالجميع فيه سواسية في التكليف أمام الله بنفس القدر وبنفس المستوى لا تفاخر ولا تفاضل لأحد.. مما يبطل على المستوى النفسي كل تكبر وغرور، ويلغي على المستوى الاجتماعي كل علو أو تميز، يتفاخر به بعض الناس على بعض، ويبطل كل نقص أو دونية، يشعر بها الناس جميعاً حياً ثانياً: العرض والتحليل لآيات الخطاب العام

الخطاب الأول: " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون "... (البقرة: 21). (28)

لقد بني النص بتراكيبه اللغوية من مضمات نفسية عميقة تخالج الفطرة، وتضرب على أوتارها. موضحة الحاجة الروحية التي غفل عنها كثير من علماء الغرب، كونهم يعيشون الواقع المادي.

ففي أول خطاب عام للناس - حسب الترتيب التوقيفي لسور القرآن - خاطب جوانب الفطرة في الإنسان بطلب العبادة، كإشباع لحاجات فطرية لديه، هي فطرة التدين، التي يتوجب على الإنسان إشباعها، كما يشبع الحاجات الجسدية والنفسية، التي تمثل الشق الأهم في التكوين البشري، ويجب أن تغذي وتشبع، وإن لم تشبع فالاضطراب والأمراض النفسية سوف تحيط بهامن كل جانب. ويتجلى البعد النفسي في الخطاب بالبداية بفعل الأمر (اعبدوا) حيث إن التكليف للناس جميعاً دون أن يستثنى أحداً منهم، مما يدخل هذا النداء لأعماق النفس، حيث يدخل الجميع تحت منطوق هذا اللفظ العام.. كونه "طلب للفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، فينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه إليه الأمر، وفرق الزجاج بين الأمر الحقيقي الذي يأتي لمجرد الطلب والأمر الغير حقيقي الذي يأتي لغرض بلاغي". (29)

والبدء بالأمر يعتبر من الناحية النفسية من أفضل المداخل للنفس، من حيث لفت النظر والانتباه والتركيز، وهذه كلها مداخل أساسية للتفكير. وهذا يتعاظم معاً بينه علم النفس من أن قوة الانتباه هي الأمثل في إجراء عمليات التفكير السليم.. التي تقوم على أساس الانتباه (أي إنتقاء مثير من بين مثيرات أخرى) ثم التركيز على هذا المثير الذي تم انتقاؤه، وهذان العاملان أساس العمليات العقلية الأخرى الإدراك، والفهم، والتفسير، والتحليل، والتركيب، والتنبؤ، والتقويم.. إلخ. وللتفخيم والتعظيم إضافة لفظ ربكم للمخاطبين ولتوطيد العلاقة النفسية بين المخاطب والمخاطبين أضف لكلمة رب الكاف والميم المنسوبة إليه.

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

وبهذه الإضافة يظهر بعداً نفسياً لأنه رب كل واحد منكم، مما يثير في النفساني المحبة والرعاية، وتذكر دور رب الأسرة، وما يقوم به من رعاية لها دون مقابل. ويتعمق البعد النفسي نسب جميع الناس إليهم مباشرة دون خصوصية لأحد. فالإنسان كفرد، والشعب كمجموعة، هم سواسية في التوجه والعبادة لله وحده دون غيره لأنه رب الجميع وهو الذي خلقكم ويقصد بذلك "الخلق الإيجاد، والاختراع بالمثل". (30)

وهي صفة موضحة مميزة، بأن الذي خلقكم هو ربكم على الحقيقة، والذي خلقكم صفة جرت على طريق المدح والتعظيم.. ولزيادة العلاقة أضاف المولى (الكاف والميم) المنسوبه للمولى عزوجل. واعتبر الزمخشري قوله تعالى (والذين من قبلكم) بأن في هذا الترجمن الإيهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد. (31)

ويظهر اللفظ كذلك بعداً نفسياً، كون الله هو مصدر الوجود للناس جميعاً، مما يثير تعلقاً ذاتياً ونفسياً بمصدر الجود، لأنه لن يتركهم يكابدون عناء البقاء، بل سخر لهمما في الأرض والسماء. وبالتالى من باب أولى أن ترد النعم لأصحابها، ولا يخلط بين هذه النعم وبين مصدرها الحقيقي، وتغدو العبادة لهذا الخالق والرازق، عملية استحقاق طبيعي على الناس، بهذا السبب الأساس.

ويزداد العمق النفسي والاجتماعي وضوحاً في لفظ "والذين من قبلكم" في جانبين في الأصل وفي التواصل.. فمن حيث الأصل بين وحدة المصدرية، ووحدة الطبيعة النفسية الواحدة للإنسان، ومن حيث التواصل أنكم لم تكونوا منقطعين عن الوجود الإنساني قبلكم بل أنتم امتداد طبيعي للخلق المتواصل والمترايط والذي أنتم جزء منه، باعتباركم ليس نشازاً، إنما انتم امتداد لغيركم، والعكس وفي ذلك تعميق لمفهوم الذات لديكم من خلال وصلكم بالخلق وبالآخر الذي قد سبقكم أو لحقكم.

وختم التعقيب بـ"لعلكم تتقون" وهو نداء نفسي للناس، ليصلوا إليه عبر العبادة الحقة لله وحده، وفي هذا تعقيب نفسي مناسب لما تقدم في الخطاب، باعتبار أن نتيجة طبيعية ومباشرة لأثر العبادة.

**الخطاب الثاني: "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين" (البقرة: 169) (32)**

بدأ الخطاب لأهميته بفعل الأمر (كلوا) الذي يأتي كما قال العلماء "لوجوب لقوام البنية، وللندب، كما إذا كان لموانسة الضيف، ولإياحة فيما عدا ذلك". (33)

والعمق النفسي يظهر في النص بوضوح كون الخطاب استخدم صيغة فعل الأمر كلوا للفت النظر وتحقيق أهم داخل علم النفس، وهو عملية الانتباه الجيد للوصول إلى استيعاب مناسب. وتعمق الدلالة النفسية والاجتماعية كون هذا الأمر جاء كتلبية لحاجة ضرورية للإنسان لامنحي له عنها، والتي تتمثل في إشباع الشق الفسيولوجي في الكينونة البشرية (الجسد) الذي يحتاج الأكل لكي

#### د. خضر عباس

تستمر في الوجود. وهذا يحقق الحاجات الأولى كما بين هرم "ماسلو" وهي الأمن الغذائي.. والتي سبق في الخطاب الأول أن أشبعها بفعل الأمر (أعبدوا) الحاجات النفسية الأساسية للإنسان. ويتضح البعد النفسي الاجتماعي في هذا الخطاب من خلال وجود الترتيب بين فعل (كلوا) وفعل الأمر الأول (اعبدوا) مما يبين مدى تعلق الأمرين، ومدى عمق الترابط بينهما، وقيام كليهما على بعضهما البعض.. فالتكليف بالأكل هو للتزود بما يساعد ويقوى الإنسان على حمل التكليف.. وتكليف العبادة يتسع لكل نشاط يقوم به الإنسان في الحياة، ومنه الأكل والشرب والتمتع.

وفي هذا حث لتحقيق الصحة الجسدية والنفسية الحقيقية.. فوجههم للأكل من الطيبات "حلالاً طيباً" وجاء فعل كلوا مفعولاً لطيباً.. صفة الحلال، والحكمة أن الأصل في الأشياء الإباحة لا الحرمة. "وذكر هذا النص في مقام الامتثال، بأنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال حلالاً من الله طيباً أيمستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول". (34)

وبهذا يرسي النص قاعدة نفسية-اجتماعية، تستقر في النفوس بأن الأصل في الأشياء الحلال "وهذا الأمر بالإباحة والحل لما في الأرض- إلا المحذور القليل الذي ينص عليه القرآن نصاً- يمثل طلاقة هذه العقيدة وتجاوزها مع فطرة الكون وفطرة الناس فانه خلقها في الأرض للإنسان، زمن ثم جعله له حلالاً، إلا أمر خاص بالحظر، وإلا تجاوز دائرة الاعتدال والقصر، ولكن الأمر في عمومه أمر طلاقة واستمتاع بطيبات الحياة، واستجابة للفطرة". (35)

وهذا يبين "ان إشباع الإنسان لدوافعه وحاجاته المادية المطلوبة لكن في حدود ما أحل الله، وكذلك الإشباع الروحي المطلوب دون طغيان على المادية الممثلة لجانبهم من مسيرة الإنسان على الأرض وخلافته عن الله فيها، وهيمحاولة الإنسان الوصول إلى التوازن بين الأرض وخلافته عن الله سبحانه وتعالى فيها، وهيمحاولة الإنسان الوصول إلى التوازن بين المادية والروحية ليستقيم مع الفطرة". (36)

ويتعمق البعد النفسي بقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدومبين) والخطوات إنما هي "استعارة عن الاقتداء به، واتباع آثاره.. وهي أبلغ عبارة عن التحذير عن طاعته فيما يأمر به، وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله". (37)

وبيان حقيقة العدو (انه لكم عدومبين) يؤكد على الترابط بين الأكل الحلال، وبين تجنب العدو، ففي ذلك نماء للأجساد، وعون على طريق العبادة، وتوخي الحذر من العدو الذي يحاول حرقكم عن الطيبات وعن العبادة، وانتبهوا لخطر عدوكم، الذي عبر الأكل والمشروب يدخل الشهوات. وهذا الخطاب بمجمله يرتكز على قاعدة نفسية-اجتماعية تتمثل في السعي للأكل، أي لا تهملوا أجسادكم حقها.. وكلوا ليس لكم اختياراً.. فهذه سنة الحياة، ولهذا خلقكم. وهذا يوحي بأنه كما أن

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

أكلكم وشرابكم ضروري لبقاء وجودكم.. فإن الأمر بالعبادة هو كذلك ضروري لبقاء إنسانيتكم.. وحيدكم عن ذلك هو حيد عن فطرتكم.. وكلاهما واجب وغياب أحدهما يولد للإنسان عدما، لأن الأكل يغذي الجسد والعبادة تغذي الروح، وكلاهما ضروري لاستمرار الحياة. وفي هذا بيان للبعد النفسي، حيث يبين المولى سلم الأولويات في الحاجات، وذلك قبل أربعة عشر قرناً، قبل أن يتنبه له علماء النفس في القرن الحديث وعلى رأسهم "ماسلو" الذي ابتكر هرم الحاجات ووضع الحاجات البيولوجية على رأسها.

**الخطاب الثالث: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثمهن رجلاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً"**  
(النساء 1) (38)

لقد أبرز هذا الخطاب العامل النفسي والاجتماعي والجسدي والروحي بشكل كبير.. وظهر ذلك جلياً فيمدى التناسق النفسي بين الألفاظ والتراكيب، وبينما وراء هذه الألفاظ منمعاني. فبدأ بفعل الأمر "اتقوا" بمعنى الخوف والخشية المصحوبه بالمحبة من الله، والتي هي محصلة ونتيجة مباشرة للعبادة، بما تستثير منمعاني تجلو للقلب وتترك مجالاً فسيحاً لتأملات شتى، كتذكير الناس بمصدرهم الذي صدروا عنه، وردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم من الأرض، مما يجعلهم مرتبطين نفسياً بهذا المصدر الذي ينسأه الكثير من الناس فيصابون بالأمراض النفسية المتعددة.

وقد قرر الخطاب حقيقتين نفسيتين واجتماعيتين هامتين في آن واحد، هما تحديد مصدرية الخلق الأول (ربكم الذي خلقكم) ثم بيان المصدرية الثانية (من نفس واحدة) وهذا إعلام نفسي للإنسان بكيفية خلقه لأول مرة، بخلق آدم عليه السلام، وزوجه حواء، مما يوحي للمستمعين، أنهم عند الله سواسية، وهم الخلق والمصدر سواء. فهذه النفس هي أصلكم جميعاً، وأنتم امتداد لها، فأصلكم هو الإنسان، وبهذا أرسى حقائق فطرية، وأبطل النظريات التي امتهنت حقيقة الإنسان ومصدريته، وحطت به إلى مستوى الحيوان، تلك النظريات التي لم تحترم هذا التفرد بالإنسانية للإنسان (كنظرية دارون) وغيرها. وفي "هذه الحقائق الفطرية البسيطة حقائق كبيرة جداً وعميقة جداً وثقيلة جداً، لو ألقى الناس أسماعهم إليها لكانت كفيلة بإحداث تغييرات ضخمة في نفوسهم.. " جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير وفي المحيا والممات". (39)

وهذا الخطاب له وقع نفسي كبير على كل شخص يسمعه.. لأنه على الجانب السيكلوجي يدعم الذات البشرية بمطلقها، كونه يرسي قاعدة المساواة في المصدرية.. فهو الذي خلقهم جميعاً، وهو الذي منحهم المساواة في البشرية، وأن آدم هو بدايتهم جميعاً، ولا فرق لأحد على أحدهما كان.

#### د. خضر عباس

ويكتمل المشهد بالتكلمة الإيضاحية (وَحَلَقَمْنَهَا زَوْجَهَا وَبَثَّمْنَهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) ببيان كيفية الخلق الثالث الذي أوجد عليه الحياة وهي عملية التزاوج الذي يحقق النسل والذي بدون هذا التزاوج لما استمرت الحياة، ولما بثمن هذا التزاوج مصنع الحياة المستمر (الرجل والمرأة). وهذا تقرير اجتماعي - نفسي بأن الرجل والمرأة لا تفريق بينهما على أساس بيولوجي، فهم مخلوقون وفقاً لمقتضيات الحال، لا تقوم الحياة ولا تستمر إلا بذلك.. وهذا إرساء لقاعدة اجتماعية أسرية، تقوم على الزوجية.. التي عبرها يتم تكاثر الناس، وتوحي بأن "هذه البشرية التي صدرت من إرادة واحدة تتصل في رحم واحدة، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتتبعن أصل واحد، وتتسبب لنسب واحد، وهذه الحقيقة ترد الناس إلى رب واحد، وخالق واحد، كما تردهم إلى أصل واحد، وتجعل وحدة الإنسانية هي النفس، ووحدة المجتمع هي الأسرة، لتقيم على هذا الأصل الكبير كل تكاليف التكافل والتراحم في الأسرة، ثم في الإنسانية الواحدة. (40)

وهذا بيان "بأن الإسلام قد عنى ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من الناحية الإنسانية ليقضي على جميع النظريات الخاطئة التي كانت تزعم أن المرأة جنس منحط عن جنس الرجل.. وبيان تلك العلاقة في كل فرع من فروعها النفسية والعلمية بحيث لا يكتنفها الغموض في زاوية من زواياها "حتى في استمرار حياتكم في كل حين وأن، وفي كل عصر وزمان، وفي كل بلد ومكان.. ليس لأحد تفضل فيه على أحد فلكم أثر من رحم.. كلكم نتاج التزاوج بين زوجين، وهذا هو قمة الراحة النفسية، باعتبار أن هذا التقديم كافٍ لإنتاج مغاليق العقل والقلب". (41)

وفي جملة "اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" معايير نفسية واجتماعية، تطرق أذان الناس بخطاب أمر هو نفس خطاب الأمر الذي ابتدأه في بداية الخطاب (اتَّقُوا)، مما يعني على المستوى النفسي التنبية والاستعداد لأمرهم، ليعيد الطرق كرة أخرى، ليجعل الإنسان في حالة استنفار نفسي وعقلي ووجداني دائم، لما سوف يقول الخطاب. وقال الزمخشري "اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَعَاطَفُونَ بِأَذْكَارِهِ وَبِأَذْكَارِ الرَّحِمِ، وَقَدْ آذَنَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ قَرْنَ الْأَرْحَامَ بِاسْمِهِ أَنْ صَلَّتْهُمَنْ لَكَ كَمَا قَالَ "أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا" وعن الحسن: إِذَا سَأَلَكَ بِاللَّهِ فَأَعْطِهِ وَإِذَا سَأَلَكَ بِالرَّحِمِ فَأَعْطِهِ وَلِلرَّحِمِ حِجَّةٌ عِنْدَ الْعَرْشِ وَمَعْنَاهُمَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الرَّحْمَعْلَقَةُ بِالْعَرْشِ فَإِذَا أَتَاهَا لُوَاوِلٌ بَعَثَتْ بِهِ وَكَلِمَتَهُ وَإِذَا أَتَاهَا الْقَاطِعُ احْتَجَبْتُمَنْهُ". (42)

وفي تغيير الإضافة لكلمة "اتَّقُوا رَبَّكُمْ"، بإضافة لفظ الجلالة "اتَّقُوا اللَّهَ" وقعا على النفس أبلغ بكثير من ترديد نفس العبارة، لأنه لو أعاد نفس الكلمة الأولى ربكم لما كانت أكثر وقعاً على النفس من كلمة الله. فعندما نخطب شخص بأسماء وألقاب يحبها تكون أكثر وقعاً نفسياً عليهم تكررهما. وقد تعمق المعنى النفسي بضمير الوصل (الذي) بأن الله خلقكم ولم ينقطع عنكم

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

وهو موصول بكم بعاملين بسؤالكم له عند كل كرب والرجوع إليه عند كل نائلة. وبكونه هو موصول بالأرحام التي خلقها وهيمصدر انبعاثكم وتواصلكم في هذه الحياة.. والتي "لا بد أن تحترموها وتقدروها وتهتموا بها، على إطلاقها، لأن هذا هو حقها بشكل عام، ووصلكم لها هو باب آخر من وصلكم بالله، وهو قمة في الخطاب النفسي الاجتماعي". (43)

وفي التعقيب "إن الله كان عليكم رقيباً" يعتبر لفظ "رقيباً" قمة التناسق والتناغم بين النص بمجمله والتعقيب، حيث إن التقوى ووصل الأرحام يتم كله بمراقبة الله وإطلاعه وهو قمة في الاستشعار النفسي المتواصل بين العبد وربّه بأنه على المستوى النفسيمراقبين قبل الله في كل أعماله سواء القلبية منها أم السلوكية، وهذا المعنى يثير في النفس حقيقة المراقبة والمتابعة من الله.

**الخطاب الرابع: "يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحقمن ربكم، فآمنوا خيراً لكم، وإن تكفروا فإن للهملك السماوات والأرض، وكان الله عليماً حكيماً" (النساء 170) (44)**

يأتي الخطاب مسبقاً بقدر الجملة الفعلية المبدوءة (جاء) لتوكيد الحكم في الجملة، مما يفيد الربط بين بنية التركيب بعلاقاته المختلفة ودلالاته حيث أنه وظف في النص بالفعل، مما يعني هذا التوظيف في الجملة الكشف عن تجدد الحدث ووقعه شيئاً فشيئاً. (45)

والتقديم بالجملة الفعلية يعني التجدد والاستمرار.. أي قد جاءكم القرآن وفيه منفعة مستمرة لكم.

وإضافة الكاف والميم للفعل تدل على أن الخطاب عام للناس بلا استثناء، عبر كلمكان وزمان.

وفي قوله "قد جاءكم الرسول بالحقمن ربكم" دلالة نفسية بأن هذا الرسول منكم وإيكم، جاء لكم تكليفاً من الله بدعوة شاملة للناس كافة، تحمل في طياتها الحق، فمن آمن فبه الخير والفلاح كله.

وفي هذا إضفاء جو نفسيمريح لتقبل الذي جاء بالحق، ولأمناصمن الإصغاء والاستماع إليه. وفيه رفع للحرج النفسي عن بعض النفوس المتكبرة، كما أن فيه بياناً تقريرياً بأن الرسول مجرد مبلغ عن ربه "فآمنوا خيراً لكم" توحى بنسمات النصيحة التي يتخللها رائحة التهديد، وفعل الأمر آمنوا تأخر عن التفصيل لهذا الإيمان، مما يدل على أهميته البالغة، ليؤكد للمخاطبين بأن الأمرين الرسول والرسالة اللذين هما مجال كفركم هما حق صدران المولى. (46)

وعبارة "خيراً لكم" جاءت بأسلوب نفسي تسعى كل نفس إليه وتحبه وتجري ورائه، وهو السعي وراء الخير، حيث جعل الخير هنا على إطلاقه ولم يحدده، ولم يقصره، بل ترك لكل شخص أن يسبح في رؤيته بتمديد هذه الخيرية له لأن الناس أنواع وأصناف وأمزاج وأحوال فمنهم من يعتبر الخيرية هي العلم بالإسلام، ومنهم من يراه بتحقيق منفعة مادية، ومنهم من يرى أن الخيرية في الدنيا فله ذلك، ومنهم من يرى الخيرية في الآخرة فله ذلك وهكذا. (47)

#### د. خضر عباس

ويشتد الوقع النفسي في عجز الخطاب " وإن تكفروا فإن لله في السماوات والأرض " كونه يحمل تهديداً نفسياً مبطناً لمن يكفروا.. بأنهم لا يملكون شيئاً لأن المالك هو الله. وأنهم اذا لم ينصاعوا لهذا النداء، وآثروا الكفر وعدم الإيمان فذلك لم ينقص من ملك الله شيئاً ولم يؤثر عليه فهو الذي يملك السماوات والأرض وما أنتم إلا خلق صغير يقبع في زاوية من زواياه.. ويرطب قلوبهم في نهاية الخطاب بقوله " وكان الله عليماً حكيماً" يطلع عليكم وعلى ما تقومون به من سلوك وممارسة في الحياة الدنيا لأنه سبحانه وتعالى هو العليم، وفي نفس الوقت هو الحكيم الذي لا يستغزه كفركم ولا يستغزه إعراضكم.. وهذا يولد حالة نفسية لدى الانسان تجعله في حالة دائمة من مراقبة النفس ومحاسبتها كون اللهمعه في كل آن وحين. (48)

**الخطاب الخامس: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا" (النساء:174)**  
(49)

وكما قيل سابقاً إن الخطاب يأتي مسبقاً بقدر الجملة الفعلية لتوكيد الحكم في الجملة، والربط بين بنية التركيب بعلاقاته المختلفة ودلالته تجدد الحدث شيئاً فشيئاً. (50)

كما أن توكيد الجملة بقدر التحقيقيه والفعل تفيد بالحقيقة تحقق ذلك الوقوع والحدوث من قبل الله، والتقديم بالجملة الفعلية يعني التجدد والاستمرار، ويعطي العبارة روحاً وحياتية مستمرة ومتواصلة. ويظهر البعد النفسي في قوله "برهان من ربكم" وهو "الدليل القاطع للغدر والحجة المزيله للشبهة". وهو "المانع في الوقع في الزلل" وهو "جميع الطرق التي بواسطتها يتم الحصول على الثقة في صحة أو خطأ افتراضاً" وهو أيضاً "أية مناقشة أو تقديم الشواهد المقنعة بقضية معينة". وهو البرهان المرابي للنفس (وأعلمما تعلمون) فقد حرص البرهان القرآني على تربية النفس وتعديل المعتقدات والسلوك وليس الوصول للنتيجة وكفى بل كان يؤكد على الهدف الأساسي المضمون البرهان بالتأكيد على قضايا العقيدة وتربية النفس وتوجيه السلوك". (51)

فالعلاقة "بين المقدمات والنتيجة تعتبر في البرهان القرآني علاقة نفسيه لما يفهم الإنسان، وقد تكون جزءاً منه. مما يرسى قواعد عقليه تعتمد على قواعد وقوانين الوصول للحقيقة.. فالبرهان عملية علمية يحتاجها التفكير بفرض الفروض ثم إختيارها للوصول إلى الحقيقة.. وقد عبر الخطاب بلفظ "برهان" و"نوراً" عن الرسالة واستعمل كلمة البرهان للدلالة المطلقة بأنها حقيقة واقعة، لأن أيمعرفة أو علم لا يصبح حقيقة علمية واقعية، إلا بعد إجراء الاختبار والبرهان وإقامة الدليل عليه.. وهذا فعلاً تمتعت به الرسالة". (52)

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

ويستعمل أسلوب الخبر التقريري "وأُنزلنا إليكم نوراً مبيناً" ليؤكد بأن الذي أنزل عليكم، هو برهان لكم، وإثبات عليكم، وهو بمثابة النور المبين الذي لا لبس فيه، لأنه ساطع وقاطع، وهذا يتساوَق مع كلمة البرهان والدليل والإثبات. وفي هذا تأكيد على احترام إنسانية الإنسان، وتقدير لعقله. واستخدم كلمة "أُنزلنا" المقرونة في ذهن الإنسان بشيء محبوب، بذكره بإنزال المطر من السماء، يعبر عن أسلوب نفسي تعليمي، يؤكد على أن اختيار الكلمة التي لها وقع نفسي واقعي بمقدورها التفاعل المستمع أكثر من الكلمة التي لا ترتبط بواقعه. وهذا المنهج قد "يساعد على الفهم السوي للقرآن، وحسن تفسيره بما يبين مقاصده ويوضح معانيه، ويكشف اللثام عما فيهم كنوز وأسرار، ويفتح مغاليقه للقلوب والعقول". (53)

وكلمة "نوراً مبيناً" تتجلى وكأنها تحت أشعته الكاشفة لحقائق الأشياء الواضحة، ويبدو مفرق الطريق بين الحق والباطل محددًا مرسومًا في داخل النفس وفي الواقع، سواء حيث تجد النفس من هذا النور ما ينير جوانبها، فترى كل شيء فيها ومن حولها واضحاً". (54)

**الخطاب السادس: "يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، متاع الحياة الدنيا، ثم إنا مرجعكم، فننبئكم بما كنتم تعملون" (23 يونس) (55)**

يأتي الخطاب بأسلوب يختلف عن الخطابات كونه جاء تعقيماً للنص وليس ابتداءً " فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق" معقباً بذلك على حالة نفسية، يمارسها البعض عندما يكون في الضيق فيضرع إلى الله، وعندما يخرج من الضيق يعود لطبيعته". (56)

و"إنما بغيكم على أنفسكم" توحى فيها كلمة (بغى) تجاوز الحد والخروج من المألوف كما حدده وخلق الله سبحانه وتعالى.. وهذا قمة التناقض بين بنية النص اللغوية المتمثلة في كلمة (بغى) وبين بنية النص النفسية التي توحى أن الظالم أولاً يدمر هو كيانه وذاته. "والبغى في حقيقته.. هو اعتداء على الآخرين وعدوان عليهم، ومن أخطر أنواع هذا البغى هو التناكر للخالق لذلك يأتي التعقيب تحذيراً للناس أجمعين "يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم". (57)

وفي النص دلالة نفسية كبيرة لأنه يخاطب الكينونة البشرية من الداخل ويبين الجانب السلبي على الإنسان الباطني نفسه. فالعقاب الذي ينتظره يكون بما تجني نفسك من القلق والتوتر والخوف الشديد، فالباغي يدرك في قرارة نفسه أنه يخالف بما يفعل طبيعة الأشياء التي خلقها الله في ذاته. ومما يزيد العمق النفسي إعطاء تصور لأقصى حد ما سوف يتمتع به الظالم أو الباطني، وهو "متاع الحياة الدنيا" فيأبى الظالمين الباطنين على الناس والمتطاولين عليهم، أو على حقوق الله، إن مردودكم الذي تحصلوه ببغيكم هو مجرد "متاع" زائل بما يحمل اللفظ اللغوي معنى نفسي وهو تعبير يبين مدى العمق والتأثير النفسي بين البنية اللفظية وبين البنية المعنوية لهذه الكلمة.

#### د. خضر عباس

وحقيقة أخرى أئمة البغي قصيرة، هي الحياة الدنيا فقط، وهي ذو أمد قصير وإن أمتد على مساحة حياة الفرد كلها، وهو لا يدوم فالموت نهاية كل طاغي وبأغي. مما جعل الخطاب يقرن حالة "البغي" بالحياة الدنيا فقط.. أي أن حالة البغي والعدوان التي يصبها الفرد على الآخرين.. مرهونة بهذه الحياة ومتاعها، فالإنسان عندما يظلم ليوعماله، أو يكثر جاهه وسلطانه، هي نعم زائلة، لا تدوم.. بدليل أن الموت حق، وأن البعث حق، والظالم سوف يعاقب ولو بعد في الآخرة.

ثم يأتي التعقيب المناسب لحال الموقف "ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون" فيثير أعماق النفس البشرية، لكونه يحدد للناس حتمية الرجوع لمن كان مصدر الوجود، وفي هذا علاج ناجح لأخطر أمراض النفس كالقلق بجميع أنواعه، سواء قلق الموت أو المستقبل أو المرض. وهذا الخطاب يتحدث عن أخطر سيكولوجية على الإنسان والمجتمع البشري، وهي العدوانية "البغي" والتي أثبتت نظريات علم النفس بأنهما من أخطر الأمور على السلوك.

فالعدوان والبغي الذي يعني التطاول على الغير.. إنما هو حالة نفسية قبل أن تكون سلوكية، وهذا يجعله عبارة عن مرض داخلي، في المنشأ وفي النتيجة. والبغي والعدوان "أول ضحايا الفرد، لما يمتلئ قلبهم كرة وحقد وبغض وبغي وعدوان على الغير سواء أكان هذا الغير هو الله سبحانه صاحب المنة والنعم.. فهذا انحراف في سيكولوجية الوفاء وحفظ الجميل لصاحب المنة، أو كأنموجهاً ضد الآخر ينمن حوله.. فهذا العدوان لأيمصدر كأنموجهاً، فإن الخاسر الأول منه هو ذات الإنسان، فالله لا يخسره ولا ينقصه بغي أو عدوانية أحد، سواء بغي التتكر لله الخالق الرازق، أو البغي المتمثل في البغي والعدوان على منجه وشرعه". (58)

والواقع النفسي والاجتماعي أثبت بأن أكبر خاسر هو العدوان لأنه يحرق ذاته قبل أن يوجه سهامه للغير، لأن سيكولوجية "البغي" تمتاز بنوع من التعقيد والانحراف الذاتي الذي يطاله بأمراض نفسية صعبة، قد تحوله لشخص "سيكوباتي"، يحمل من الأمراض النفسية ما يلوث حياته لأن البغي هو عدو الإنسان الأول -سواء تمثل في التطاول على الله، أو على عبادة، أو كلاهما- وهو مهدد للذات، ومدمر للكيان النفسي للفرد، قبل أن يكون مدمراً للكيان الاجتماعي، فمن بغي يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد إلى السماء ومن يظلم الناس ويعتدي عليهم فهو يهدم كيانه الانساني الداخلي ويدمر بنفسه نفسه.. ويقتلع معاني الخير التي اودعها الله في فطرته، ويتحول لظالم لنفسه، ومدمر علاقاته الاجتماعية أو يجعلها تقوم على الرعب والخوف، وهذه علاقات غير سوية قائمة على عدم التساوي بين البشر مما يزيد الكره والبغضاء بينهم.

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

الخطاب السابع: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُمُوعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ" (يونس 57) (59)

ومن بواكير العمق النفسي أنه يتناول في الخطاب الحقيقة التي كفر بها الناس، والتي تمثل مجالا واحدا لا غنى لاحدهما عن الأخر، فالرسول والرسالة عاملان متكاملان لبعضهما البعض، ولا خيار لهما في ذلك.. لأن كليهما رسل من الله إلى الناس.. سواء المبلغ، أو المبلغ به.

وكما قيل سابقاً إن الخطاب يأتي مسبقاً بقدر الجملة الفعلية لتوكيد الحكم في الجملة، والربط بين بنية التركيب بعلاقاته المختلفة ودلالاته تجدد الحدث شيئاً فشيئاً. (60)

وقوله تعالى "موعظة من ربكم" أي قد جاءكم كتاب لهذه الفوائد موعظة وتنبية على التوحيد والموعظة التي تدعو إلى كمر غوب وتزجر عن كمر هوب فما في القرآن من أوامر ونواهي داع إلى كمر غوب وزاجر عن كمر هوب إذ يقتضي حسن الأمور به فيكون مرغوباً وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح". (61)

ويظهر البعد النفسي في أوضح صورة بقوله تعالى "وشفاء لما في الصدور" حيث يقرر فائدة تدخل في نطاق الإشباع النفسي، والعلاج النفسي الذي هو مركب من (الروح والجسد) أي أن هذا القرآن هو بمثابة البلم الشافي لكما قد يشعر به الإنسان في حياتهم ضيق وقلق وتوتر وكبت واضطراب وعدم طمأنينة " وهذا يقدم علاجاً نفسياً لكل من يؤمن به حق إيمان ثم يتبعه.

"والشفاء يتمن خلال علاقة الإنسان بربه، حيث فيها هدوء للأعصاب والنفس، فصلاح البال يترتب عليه هدوء السر وراحة النفس والشعور بالرضا، وهذه قمة السعادة الروحية، فالإنسان إذا صدق في علاقته مع الله وحافظ على أوامره وابتعد عن نواهيه فإن الله يحبه، وإذا أحب الله الإنسان فتح له أبواب الخير ويسر له أمره كله". (62)

وشعور الإنسان بالسعادة والأمن النفسي والاستقرار العصبي، له تأثير في تقوية جهاز المناعة عنده، فيتغلب على الأمراض النفسية والعضوية، والمؤمن الحق دائماً في سعادة وراحة بال لأنه إن نزلت عليه نعمة شكر وإذا نزلت به مصيبة صبر وبالتالي هو هادئ الأعصاب غير متوتر لأنه يؤمن بأن كل شيء يجري بأمر الله. والطاقات الروحية الإيمانية لدى الإنسان لها أثر طيب في علاج الاضطرابات النفسية والانفصام الشخصي والهزات الجسدية التي تنتاب الإنسان لأن

الإنسان فيه روح، والروح من أمر الله وهي إذا استمدت الإيمان السليم ومقاماته زاد الإيمان في قلب الإنسان، وكلما زاد الإيمان كان صماماً أمنن الهزات النفسية والاضطرابات العصبية، فالأمن النفسي هو المسيطر على الأمن الجسدي وله تأثير على صحة الجسد وسلامته.

#### د. خضر عباس

ويتعمق في النص البعد النفسي والاجتماعي بقوله "وهدى ورحمة للمؤمنين" حيث يمثل الشق الاجتماعي بما يحمل من هدى ورحمة، يتعامل بها الناس بين بعضهم البعض، ويعاملهم بها الله. ثم يضيف خطاباً تقريرياً يبين أن من تبعه سوف يجازي في الدنيا، قبل الآخرة بأنه قد أصاب كبد الحقيقة، وإن مستقبله سوف يسير على هدى وفي خطى ثابتة عبر منهج واضح المعالم "قال أرزاق المادية، والقيم المادية، ليست هي التي تحدد مكان الناس في هذه الأرض، فضلاً عن مكانهم في الحياة الأخرى. وإن القيم المادية يمكن أن تصبح من أسباب شقوة البشرية.. لذا فإن القيمة العليا يجب أن تبقى لفضل الله ورحمته المتمثلين في هداه الذي يشفي الصدور، ويحرر الرقاب ويعلي القيم الإنسانية في الإنسان. (63)

ولذا فهو رحمة للإنسان على مستوى النفس كمركب مشترك، وعلى مستوى الروح والجسد معاً، وعلى مستوى الحياة بمجملها، فالرحمة والهداية وانسراح الصدر نواتج لهذه المواظ إذا التزم بها الإنسان، وهذا النص يقدم علاجاً ناجحاً لأخطر أمراض النفس وهو مرض القلق النفسي بجميع أشكاله وأنواعه.

**الخطاب الثامن: "يا أيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كمرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد" (الحج: 1) (64)**

يوجي هذا الخطاب بالبعد النفسي، فالتركيمن حيث الكلمات والجمل بينها علاقة نفسية وطيدة. حيث تتساقط الكلمات والجمل كالكينونة البشرية وتثير في النفس عمقا كبيرا يورد حالة تصور مدى عمق الهول الذي يكون الناس فيه، ويستخدم مثالا نفسيا اجتماعيا لصيق بحياة كل إنسان في جميع العصور والأزمان، لأنه جزء من كينونة النفس البشرية، ومن جوهر كيانها. ويبدأ بخطاب نفسي عمق بالنداء العام للناس "اتقوا ربكم" قبل تخويفهم من زلزلة الساعة، ووصف هولها، وهو هول عنيف، تتعاقب فيه البنية التركيبية للنص بقوة فيبدأ بفعل الأمر "اتقوا" ليقدّم لهم قارب النجاة قبل أن يطلب منهم الإبحار في الحياة، وكأن المولى يريد أن يقول لهم إن قارب التقوى الخوف والرجاء لله سبحانه وتعالى، هو المنجي لكم من الهول". (65)

ولزيادة التهويل النفسي للمستمع "يبدأ بالتهويل المجمل، الذي يلقي ظل الهول الذي يقصر عن تعريفه التعبير، فيقال "زلزله" من غير تحديد ولا تعريف. والزلزلة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زيل الأشياء عن مقدارها ومراكزها. كما يجيء مع التقدير سؤال السائل إذا تقدمها من الكلام يلوح للنفس منه شيئاً، "زلزله الساعة" فإضافة الزلزال إليها يفيد معنى ذاتها وهو زلزالها

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

المختص بها المعروف منها المتوقع. وأمرهم بالتقوى ثم تحل وجوبها مجيباً لسؤال المقدر بذكر الساعة واصفاً لها بأهول وصف ليقرر عليه الجواب. (66)

ولزيادة التوكيد استخدم صيغة الخطاب ليدل على قطعية وقوع الحدث مما يندد للإستماع لهذا الحدث. وقد استخدم كلمات بها عمقا نفسياً اجتماعياً لصيق بحياة كل إنسان في جميع العصور لأنها جزء من كينونته وتكوينه فكلمة "زلزلة" لها وقع نفسي داخلي يفوق أي كلمة، لأنها توحى بكلمعان القوة التي تشد الإنسان وتجذبه ليكون في حذر من هذا الحدث. وكلمة "الساعة" فيها إشارة إلى ما كان يغفل عنه الناس في الدنيا حيث إن الديناما هي الإجموع ساعات تنقضي وتنتهي، وفي هذه الساعة المزلزلة "شيء عظيم" دون ألف التعريف على إطلاقها هو ما يخطر بالكم من تصور عظيم وكبير أو هو نهايتها تتصور ونمن الأمور من الأهوال". (67)

وفي "شيء عظيم" وقع النفسي على المستمعين لكونه يفتح الباب على مصراعيه أمام تصور النفس لهذا الشيء العظيم، الذيمهما كان التصور حوله فإنه لا يقف على حقيقة هوله وعظمته، حيث جعله هذا الخطاب مفتوحاً، بعبارة شاملة وواسعة تتسع لكل تصور نفسي بكلمة "عظيم".

ويعمق البعد النفسي بقوله "يوم ترونها تذهل كالمرضعة عما أرضعت" حيث "حذف المسند إليه وذكر المسند كوسيلة للربط على مستوى النص كله للتأثير على المتلقي المستمع لا سيما إذا ذكر التفاصيل المشككة لبيئة هذا المسند إليه جزءاً من جزءاً". (68)

وفي تعبير "يوم ترونها" .. يكمن ضمير الشأن، أي فتتشغل لهولما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له ولهذا قال "كالمرضعة" ولم يقل مرضع وقال "عما أرضعت" أي عن رضيعها قبل فطامه. وفي هذا مثال هو في الحقيقة أقرب للواقع النفسي والاجتماعي للإنسان، فعاطفة الأم ألصق عاطفة بالابن، خاصة في حالة الإرضاع ولكن هول الموقف جعلها تتشغل عن فطرتها وعاطفتها وعن كلما أودع فيها من عطف وحب وحنان فالذهول سيد الموقف وهو الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان في أشد حالات الرعب والخوف "أي قبل تمامه لشدة الهول والهول الشاخص يذهله، فلا يكاد يبلغ أقصاه، وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة، ولكن يقاس بوقعه في النفوس الأدمية". (69)

ويستمر الخطاب في قرع أذان المستمعين وأفئدتهم "وتذهل كالمرضعة عما أرضعت" والمرضع التي شأنه أن ترضع، والمرضعة هي التي في حال الإرضاع مقلدة لطفها، وقال المرضعة ولم يقل مرضع، ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي، أحب الناس إليها، وذلك

#### د. خضر عباس

غاية في شدة الهول والفرع.. وقوله أي تؤهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن إرضاعها أو عن الذي أَرْضَعْتَ وهو الطفل. (70)

ونجد هنا تناسقاً كبيراً بين الألفاظ والتراكيب التي تتكون منها الجملة وما يحمل معانٍ نفسية، فكلمة (تذهل) على سبيل المثال تحمل عمقا نفسيا، لأنها تبين بأن النفوس والعقول تتشغل في شيء آخر، حيث يعيش العقل عالمه وتعيش الحواس عالمها، ويحدث انفصال تام بينهما فالعين ترى وتنتظر والأذن تسمع والحواس تحس. وهذه الحالة أشد حالات الأمراض النفسية.

ويعرض مشهد أشد وقعا نفسيا من سابقه "وتضع كل ذات حمل حملها" فهول الموقف لا يقتصر على الذهول، بل يمتد في صورته تعبيرية رائعة تصور جميع الكائنات وهي تنفض عن نفسها كلما علق بها سوا من الخارج أو الداخل حتى لو كان أكثرها قربا وحبا وهو الجنين في أحشائها.

"وترى الناس سكارى وما هم بسكارى" استخدم تشبيهه بليغمؤكد، أي كالسكارى من شدة الهول، فحذفت أداة التشبيه والشبه.. وسكارى أيمن شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى وما هم بسكارى. (71)

والمشهد "يصورهم بحالة نفسية تذهب عقولهم وتسكرها من هول الموقف، لا بسبب ما عرف لديهم من شراب يسكر العقول، بل بما تشاهد العيون من هول ما يعكس على العقول والقلوب.

الخطاب التاسع: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ نُوَفِّيهِمْ نُفُوسًا ثُمَّ نُنْفِئُهُمْ مِّنْهَا ثُمَّ نَمْسِكُهُمْ فِي الْمَوْتِ وَإِنَّا لَمُنشِقُونَ" (الحج: 5) (72)

يبدأ الخطاب بسؤال استنكاري تعجيزاً نفسياً لهم "إن كنتم في ريب من البعث" ولا يجيب عن السؤال بشكل مباشر، إنما بالمخالفة.. فبالأضاد تعرف الأشياء. وذلك بالتعرف على حقيقة وجود هذا الإنسان، ومامر به من مراحل يتوجب التسليم بها، ويؤمن خلالها بوجود الموت والبعث.

والبدء بالتوكيد في الجملة تفيد نفسياً أن "الخلق" قد حصل وانتهى، ولا حاجة لتوكيد الخلق ثانياً، وإنما الحاجة للتفصيل لكي يعقدوا مقارنة بين الوجود الأول والثاني، لأنهم يوجدكم في البداية، يوجدكم مرة أخرى، فالنشأة الأولى أصعب من الأخرى، وما دمتم أقررتهم بالأولى، فمن باب أولى إقراركم بالثانية، وهو توكيد فيه نوع من التساؤل حول حقيقة موقفهم من البعث والحساب "فإننا خلقناكم تراباً" توكيد بأن الإنسان إين هذه الأرض، من ترابها نشأ، ومنها تكون، وفيها عاش، وما في جسمهم عنصر إلا وله نظيره في عناصر الأرض. (73)

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

ثم يستمر في تذكير الإنسان بحقيقتة التي تولد على المستوى النفسي والاجتماعي الصحة النفسية التي تقي من أمراض نفسية كثيرة، خاصة التي يدعيها البعض كونهم خلقاً مميزاً عن البشر. "تمن نطفة تمن علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة" فمن النطفة يتم تلقيح البويضة، وفي هذه النقطة الصغيرة العالقة بجدار الرحم تكمن خصائص الإنسان بصفاته الجسدية وسماته العصبية والعقلية والنفسية.. ثم وصف القرآني مختلف أطوار الجنين وصفامخبرياً دقيقاً وقسم خلق الجنين إلى ستة أطوار (النطفة والعلقه والمضغة وتكون العظام وكسوة العظام باللحم والتسوية) وهذه التفاصيل لم تعرف إلا في القرن العشرين الميلادي. (74)

ثم "لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى" وفي هذه إشارة بأن المراحل الأولى هي علم غيبى مطلق لله. ثم تكون مرحلة التبيين للناس أي بالإمكان العلم بحال الجنين ونوعه بعد مرحلة المضغة المخلقة التي تكون ما زالت غير مستقرة.. والتي يتم بعد نزولها "مرحلة التثبيت" وهو عملية تكوين الجنين واستقراره في بطن أمة وهذه الجملة المعترضة هي محطة بين المضغة والطفل، فما شاء الله أن يتم تمامه أقره في الرحم حتى يحين أجل الوضع، قبل هذه المرحلة يكون الحنين أقرب إلى النبات ليس له حس أو حركة إرادية وكلما فيه فقط حركة للنمو والاعتداء. وفي هذه المرحلة يتكون الحس والإدراك والإرادة "ثم نخرجكم طفلاً" ليرى النور بعد كل تلك الخوارق الضخام، ويا للمسافة الهائلة بين الطور الأول والأخير. (75)

"ثم لتبلغوا أشدكم" فتستوفوا نموكم العضلي، والعقلي، والنفسي، وكم بين الطفل الوليد والإنسان الشديد من مسافات في المميزات أبعدها من مسافات الزمان! ولكنها تتم بيد القدرة المبدعة التي أودعت الطفل كل خصائص الإنسان، والاستعدادات الكامنة التي تتبدى فيه وتتكشف في أوانها. "وَمِنْكُمْ يَتَّقَى" أي تنتهي رحلة الحياة، وتتوقف مسيرة العمر لدى الإنسان، وينتقل لخالقه. "ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" زيادة العمر ليست أفضل له لأنها أدنى المراحل، وفضل عنها مرحلة الطفولة، لأنها مرحلة ارتداد ونكوص للخلق، وهي إشارة إلى أشد الأمراض النفسية لدى الكبار وهم مرض الشيخوخة التي يخرف فيها الإنسان ويضيع منه كلما حرص على معرفته فيبدأ الدماغ في الضمور والتآكل شيئاً فشيئاً". (76)

"وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج" فالهمود درجة بين الحياة والموت، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت، وهي حركة سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالترية الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرب الماء وتتفتح فتربو ثم تتفتح بالحياة عن النبات، وتنبتت من كل زوج بهيج. وهل أبهج من الحياة وهي تتفتح بعد الكون وتتفض بعد الهمود. (77)

#### د. خضر عباس

وقد تضمنت هذه الآيات أسلوب القياس في البرهان، فهي نداء لجميع الناس، يخاطبهم ويبرهن لهم على حقيقة البعث وينزل لمستوى عقولهم بأن يخاطبهم بمقاييسهم ومنطقهم ومستوى إدراكهم ويؤكد لهم على حقيقة البعث قياساً على النشئة الأولى وقياساً على إحياء الأرض بعد موتها وهمودها. (78)

والآية تؤصل لعلم نفس النمو "فنجدها تصور النمو على أنه دورة حياة وليسمرأحلمنفصلة وإذا كان هذا التصور لم يشع في كتابات علم نفس النمو إلا منذ سنوات قليلة فإن القرآن الكريم بإعجازه العلمي عبر عنه بأبلغ تعبير منذ أكثر من أربعة عشر قرناً". (79)

الخطاب العاشر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبْكُمْ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُمْ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ" (الحج: 73) (80)

يعرض هذا الخطاب موضوع الخلق بأسلوب نفسي رائع تتناسب ألفاظه وتراكيبهم مقصود المولى.. ويستخدم أسلوب ضرب الأمثال الذي هو أبلغ من أسلوب الحكاية، لأنه يلفت النظر ويقرع الأذن، ويلوي العنق ليأكي يستمع إلى المخاطب، وللزيادة في الروعة يستخدم في هذا العرض البدء بكلمة المبني للمجهول "ضربتم" وذلك أبلغ من البدء بالمتل من الفعل العادي.

والخطاب له وقع نفسي مميز، حيث أتمد أسلوب المثل لتقرير حقيقة أو أمر ما، فقال (ضرب) ولم يقل (يضرب اللهمثلاً) فاستخدم الفعل الماضي ليدل على وقوع الحدث وانتهائه.. ولزيادة الوقع النفسي لم يقتصر على المثل بل طلب منهم وجوباً أن يستمعوا وينصتوا له. لأن فعل الأمر وقعا نفسياً أبلغ من أي فعل آخر لأنه يوحي بوجوب فعل شيء، وليس للإنسان فيه حرية الاختيار قال ابن كثير "إنه النداء العام النفير البعيد الصدى "للناس" فإذا تجمع الناس على النداء أعلنوا أنهم أمام مثل عام يضرب، لآحالة خاصة ولاناسبة حاضرة "ضربتم" والمثل يشكل في النص عمقاً نفسياً يقرع الفكر بشكل أقوى من الحديث التقريبي". (81)

ويظهر البعد النفسي في حرف (ف) (فاستمعوا) وبهذا يتبين إن العلاقة النفسية بين ضرب المثل، وعملية الإستماع تتمثل في كون (الإستماع) المقصود هو تركيز الحواس على الكلام الذي سوف يتحدث به المتكلم، والتركيز أول أبواب الفهم والإدراك والاستيعاب، حسب "علم النفس الإدراكي". "إن الذين تدعون من دون الله" يبدأ الجملة بعملية تأكيد ثم إسموصولاً للزيادة في الإنتباه، واسم الموصول الذين يأتي غير معرفاً ليشمل كل أنواعاً يدعون من دون الله في كل زمان ومكانهما تطورت البشرية، فكل من تتوجهون له غير الله هو شريك لله ولا يرضى لنفسه الشركاء، لأن الخلق هي صفة له وحده لا يجوز بحال من الأحوال اشراك أحدمعه. (82)

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

ثم يستخدم الخطاب التحدي النفسي "إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له" وهذا المثل يضع قاعدة ويقرر حقيقة إن الذين تدعونهما كانوا لن يخلقوا أصغر وأحق مخلوق و"الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقيق، لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفعل دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير. ويخطو خطوة نفسية أوسع في إبراز الضعف المزري "وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوهم منه" فالآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً! وكمن عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده. ولتعميق المثل نفسياً اختير الذباب وهو ضعيف حقير، وهو يحمل أخطر الأمراض ويسلب أعلى النفائس، ويسلبها لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير! وفي هذا احباطاً لنفسيتهم مسبقاً من أن الخلق هو صفة له وحده فقط، ولم يتمكن أحد، ولن يستطيع كمن تفتنون بقوتهم وسيطرتهم، ويعلمهم أو بمعرفتهم أو بمالهم أو بجاههم أن يخلقوا أبسط الأشياء.. الذباب الذي يسلبهم شيئاً لا يستنقذوهم منه.

"ضعف الطالب والمطلوب" فيهما من فوائد الأمثال "أنها تجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة ليقرر ما ألقاه المثل من ظلال، وما أوحى به إلى المشاعر والقلوب، وبهذا يرجع النص للتحدي. ثم يعقب بعمق نفسي يجرد النفس من كل قوة وحول "ما قدروا الله حق قدره" الإنسان يجهل حقيقة قدرة الله، ولا يقوم بتقدير صحيح لذلك، فيستعين بالآلهة العاجزة عن استنقاذ ما يسلبها إياه الذباب وهذا تقرير وتقرير في أشد المواقف مناسبة للخشوع والخضوع". (83)

الخطاب الحادي عشر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ" (لقمان 33) (84)

يستخدم الخطاب فعل الامر لتكرار التوكيد لأهمية التقوى والخشية في هذا اليوم، والخشية تعني الخوف من الله مع محبته، والخوف من اليوم، بإتقائه بالبعد عن منهياته.. وقال النسفي "اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يقضي عنه شيئاً، والمعنى لا يجزي فيه حذف". (85)

وفي الخطاب أمرين متتابعين اتقوا، واخشوا، مما يحيط بالنفس الإنسانية من جانبين نفسيين، التقوى والخشية، لأن كلاهما يتوقف على مفهوم الخوف.. وهذا اللفظ يحمل عمقا نفسيا كبيرا حيث يفرق اللفظ بين حالتين نفسييتين للفرد، حالة التقوى وهي تعتمد على الحب الخالص للمقصود والخشية التي هي الخوف من غضب المحبوب للحبيب، والخشية التي هي الخوف الذي يحيطه الرهبة والرعب، ولا يحتاج للحب فيه. والعمق النفسي في النص بقرن الدنيا والآخرة، فالتقوى في الدنيا، والخشية من يوم القيامة، يولد وحده نفسية بينمتطلبات الحياة، ومتطلبات الآخرة.

## د . خضر عباس

"لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً" استخدم كلمة "يجزى" لما لهامن عمق نفسي كبير اذ توحى بحالتهمن التئيس النفسي الشديد لكلما يمكن أن يتعلق به الإنسان في الحياة الدنيا، وأكثر المتعلقات الأب والابن، والإبن والأب.. وهؤلاء سوف يكون كل شخصمنهمشغولا بنفسه عن غيره، وحتى لو استطاع أن يقدم نفسه فداء لأحب وأقرب الناس إليه لا يقبلمنه ذلكمطلقا. فهول ذلك اليوم الذي يقطع أواصر الرحم والنسب، ويشغل الوالد عن الولد، ويحول بين المولود والوالد، وتقف كل نفس فيه وحيدة فريدةمجردتمن كل عون وسند.

وهذا التعبير يزخر بالعمق النفسي والاجتماعي في ألفاظه ومعانيه، لأن أقرب الناس لبعضهم الوالد والولد.. لذلك كرر المولى عز وجل بألفاظمترابطةمتماسكةمتلاصقة حقيقية هامة.. هي أساس الترابط الاجتماعي والنفسي في الحياة الدنيا وهي عاطفة القربى.. وألصق هذه العاطفة هي عاطفة الابن والوالد لبعضهم البعض حيث يقول (لا يجزى) أي لا ينفع ولا يشفع ولا يغني (والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) وهنا قدم الوالد لأن عاطفة الأبوة أقوى لدى الوالدمن عاطفة البنوة وإن كان كلاهما من ألصق الفطرة البشرية للإنسان. (86)

"إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" تعقيب نفسي يؤكد أن لامفرمنمواجهة هذا الهول العصيب، والحساب الدقيق والجزاء العادل، الذي لا يغني فيه والد عن ولد ولا مولود عن والده.. فاذا لم يتوقف عن الغرور فسوف يصاب بأخطر الأمراض النفسية اضطرابا على الإطلاق وهو جنون العظمه، الذي يوقعه فيمهاوي الردى، وينزع عن لبهم رأياً سديداً، وموقف نزيه.. فالغرورمرض نفسي داخلي يجعل الإنسان يغتر بنفسه.. بحيث يجعله هذا الغرور يتعالى على عباد الله وعلىمنهج الله وحتى على الله سبحانه وتعالى. وإن أكبر غرور هو غرور الإنسان بهذه الحياة حيث تمد لهمن النعم.. وتأخذ في أحضانها مغيبه له فيمتعها ومتاعها، ويقوده هذا الإغترار بالحياة الدنيا إلى الإغترار حتى بالله سبحانه وتعالى، حيث قد يتصور البعض أن اللهمعه، وسوف يعافيه ويعفو عنهن لأنهمفضل عن غيره، لأن الله يحبه، ولرد هذا الغرور وللطرق على الحواس التي هيمدخل الإدراك يركز المولى عز وجل على ما يؤدي به إلى الغرور والإغترار في الدنيا، فيقرر حقيقة هامة، وهي أنما يمكن أن يغتروا به، وقد تنسبوه إلى انفسكم هذا هو مصدره، وفي هذا لطيفة نفسية رائعة تحصر كل حياة الإنسان وتعالجهمن أخطر الأمراض النفسية وهيمرض الغرور". (87)

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

الخطاب الثاني عشر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" (فاطر3) (88)

تبرز في النص تراكيب تستثير في النفس حقيقة ذاتية بيولوجية، مرتبطة بحقيقة اجتماعية ونفسية، تذكر الناس بنعمة الله عليهم فهو الخالق والرازق، فكيف تتصرفون عنه. "اذكروا نعمة الله عليكم" فيدمج بين أهم نعمتين للإنسان نعمة الخلق ونعمة استمرار الحياة، وهو بهذا يدخل للذات البشرية من المنظار النفسي، بأنه سبب الوجود، ومنمنظار حياتي اجتماعي مصدر الرزق، فلا تقلقوا على هذين الأمرين، فالأجل، والرزق من الله. ولن يسلبكم هذين الحقين أحد إلا بإرادة الله". والخطاب يرفع عنهم القلق النفسيم المستقبل، والاعتنا بالحاضر، فيلفت نظرهم للنعم التي تحيط بهم، بأنهما من الله "هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض" فيبدأ بالسؤال حول حقيقة معترف بها حتى من قبل المشركين وإن كانوا يجادلون فيها "هل من خالق غير الله" فالجواب الطبيعي لديهم تفرد الله في الخلق، والمشكلة بعدم تفريده بالعبادة، لذلك كان هذا الخطاب المنطقي لهم بأنهما دام هو الخالق فهل يعقل ألا يكون هو المعبود". (89)

ويخاطب هنا أهم سلم في حاجات الإنسان ودوافعه وهي الحاجات المادية والتي تتمثل في النعم والرزق الذي هو كل شيء يحصله الإنسان بسيطا كان أو غيره ليسد رمق جوعه أو يغنيه. والنعم أشمل من الرزق، لأنها تضم كلما أنعم الله به على الإنسان في نفسه وفي الكون والحياة وهذا يكسب النص عمقا نفسيا باعتبار أن الإنسان يصبح يرى في جميعا اكتسبهم الحياة، وما يحيطه بهم نعم أن هناك من يحبه ويوفر لهما يريد، وعليه أن يرد الأمور لنصابها ولمصدرها الأساس، فلا يغتر ويدعي لنفسه أو لغيره الألوهية، وهذا المنطق يولد لدى الإنسان التواضع والتذلل لهذا الرب، ويزيح عنه امراض نفسه جمه جراء ذلك. (90)

إن نعمة الله على الناس لا تتطلب إلا مجرد الذكر، فإذا هي واضحة بينة يرونها ويحسونها، لكنهم ينسون فلا يذكرون. وحولهم السماء والأرض تفيضان عليهم بالنعم وتفيضان عليهم بالرزق، وفي كل خطوة، وفي كل لحظة فيض ينسكب من خيرات الله ونعمهم السماء والأرض.

ويقول الشهيد سيد قطب عندما مر على هذه الآية "لقد تغير كل شيء في حسي! إنها نعمة ضخمة أن يفتح القلب لحقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود، كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هذه الآية.. نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها، ولكنه قلما يقدر على تصويرها، أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة. وقد عشتها وتذوقتها وعرفتتها. (91)

الخطاب الثالث عشر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ\* إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (فاطر: 5-6) (92)

يبدأ الخطاب "إن وعد الله حق" وعد آت لا ريب فيه واقع لا يتخلف به اثنان إنه حق والحق لا بد أن يقع، والحق لا يضيع ولا يبطل، ولا يتبدد ولا يحيد. وللتأكيد يبدأ الخطاب بجملة اسمية مؤكدة تقرر حقيقة لامراء ولا جدال فيها.. وهي واقعة لامحالة بذلك، وعبر عن يوم القيامة بالوعد.. وما دام هذا الوعد صادر من قبل الخالق فهو حقيقة لا جدال فيها.. وكذلك كرر التأكيد بأن وهيمنمؤكدة الجملة الإسمية، وهي أقوى من التأكيد باللام. وأكثر مواقع إن بحكم الاستقرار هو جواب، لكن بشرط أن يكون للسائل فيه ظن بخلاف ما تجيبه به". (93)

"فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور" ويتناول هنا الخطاب أخطر الأمراض النفسية التحليلية التي تمثل الغرور، الغرور بهذه الحياة الدنيا، باللهو والتمتع فيها وكأنها حياة خالدة، أو كأنما أصاب الإنسان فيها منمتاع وجاه ومنصب وغيره، هي باقية خالدة.. ثم يخاطب الناس بخطاب الكينونة الذاتية، وبما تحمل من مشاعر وأحاسيس بأسلوب النصح والإرشاد "فلا تغرنكم الحياة الدنيا" فالحياة الدنيا تغر وتخدع، وهذا هو مفتاح الشر كله.. بأن يزين الشيطان للإنسان سوء عمله فيراه حسناً.. فيعجب بنفسه وبكلما يصدر عنها. ولا يفطن في عمله ليرى مواضع الخطأ والنقص، لأنه واثق من أنه لا يخطئ! متأكد أنه دائماً على صواب! معجب بكلما يصدر منه! مفتون بكلما يتعلق بذاته، فلا يخطر على باله أن يتراجع". (94)

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" والشيطان قد أعلن عداؤه لكم وإصراره على عداوتكم "فاتخذوه عدواً" لا تركنوا إليه، ولا تتخذوه ناصحاً لكم ولا تتبعوا خطاه، فالعدو لا يتبع خطى عدوه وهو يعقل! وهو لا يدعوكم إلى خير، ولا ينتهي بكم إلى نجاة. فهلمن عاقل يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير". (95)

والعمق النفسي في النص يجعل الإنسان يستحضر صورة المعركة الخالدة بينه وبين عدوه الشيطان، فيتحفز بكل قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات. يتحفز لدفع الغواية والإغراء، ويستيقظ لمداخل الشيطان إلى نفسه، ويتوجس من كل هاجسة، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مستتر من عدوه القديم! وهذه هي الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير. حالة التوفز والتحفز لدفع وسوسة الشيطان بالغواية، كما يتوفز الإنسان ويتحفز لكل بادر من عدوه وكل حركة خفية! حالة التعبئة الشعورية

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

ضد الشر ودواعيه، وضد هوائه المستسرة في النفس، وأسبابه الظاهرة للعيان. حالة الاستعداد الدائم للمعركة، التي لا تهدأ لحظة ولا تضع أوزارها في هذه الأرض أبداً. إن هذه الآيات تصدع بوقع نفسمباشر، يطرق المولى عز وجل به قلوب الناس بتذكيرهم بحقيقة واقعة لامحالة.. هذه الحقيقة تنبني على حقيقة سابقة لها، وهي أن الموت على الناس حق وحقيقة واقعة، وبالتالي فإن الإحياء هو أيضاً حقيقة باعتبار أن المنطق والحق يقود إلى هدفة الحياة وعدم عبثتها وبالتالي يجب أن يكون هناك حياة بعد الموت ويجب لتحقيق العدل والقصدية من الوجود أن يجازى كل إنسان عما أقرت في حق نفسه وفي حق الآخرين وبالتالي فإن التذكير لهذا الأمر ولما وعد الله هو حق يبنى ويعتمد على حق. وهذا المنطق الخطابي يدخل إلى وجدان وضمير الشخص السليم الذي لم تعطله وتكوره شوائب الحياة وشهواتها، والذي لا يحول بين الإنسان والتذكر ما يطمس عقله وقلبه بما يغتر بما هو فيهم نعم وترف الحياة التي لا تدوم لأحد، ولا تحابي أحد على أحد بتاتا". (96)

الخطاب الرابع عشر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" (فاطر 15) (97)

وفي هذا الخطاب العام الموجه من قبل المولى عز وجل للناس (أنتم الفقراء إلى الله) يقرر حقيقة مؤكدة (وذلكم خلال أيضا الجملة الاسمية المؤكدة بأن) تتعلق بموضوع اجتماعي يشكل الجانب الأهم في حياة الإنسان.. هذه الحقيقة هي الفقر والغنى.. فالله أغنى الأغنياء وأنتم أشد الناس حاجة إليه.. وأنتم الذين تحتاجونه وهو في غنى عنكم.. وما دام الرزق بيده سبحانه وتعالى.. فهو الذي يرزقكم وأنتم الفقراء له.. وهذا يدل على مدى العمق الاجتماعي خلال هذه النصوص.. حيث قرر فيها أبرز وأهم قاعدة اجتماعية، حول الفقر والغنى.. وهذه الحقيقة لو

وعاها الناس جيدا لما اضطربوا ولما أصابهم القنوت واليأس ولما أصابهم الجشع والطمع. "أنتم الفقراء إلى الله" لم عرف الفقراء؟ قلت قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، إن كانت الخلائق كلهم فقيرين إليهم الناس وغريهم، لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلم كان الفقير أضعف كان أفقر، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله - وخلق الإنسان ضعيفاً - وقال الله سبحانه وتعالى - الله الذي خلقكم من ضعف - ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء. فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد على السنة مؤمنهم".

## د. خضر عباس

"وهو الغني الحميد" فلو أراد الله أن يذهبكم بأن يقضي عليكم وينهي وجودكم، ويأتي بخلق جديد آخرين غيركم، أو مخلوقات يخلقها من جديد فلا تعرفونها، فذلك ليس بمعجز أو بعزيز على الله. وهذا الخطاب يوحى في ضلاله بمعنيين.. نفسي واجتماعي.. ففي المعنى الاجتماعي يقرر أن حقيقة الفقر والغنى.. التي يجعلها البعض معيارا للتفاضل الاجتماعي بينهم، ويتطرق بها البعض ويتناول بها حتى على الله سبحانه وتعالى.. إنها في النهاية قيمة زائلة وفانية عنكم بعد حين، وإنها وهي لديكمهما بلغت فأنتم الفقراء إلى الله.. لأنكم أنتم دائما في حاجة إليه.. وهو الغني الذي يهب الغنى لمن يشاء وينزعه عن من يشاء لأنه أعلى طبائع النفوس وسرائر القلوب، وبالتالي فلا غناكم ينفع الله شيئا ولا فقركم يؤثر على الله شيئا.

ثم يعقب بخطاب يتضمن معان نفسية عميقة، حيث يهدد الناس ليس في مالهم أو تجارتهم أو ممتلكاتهم بل يهددهم بنزع الحياة عنهم "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" وهذا لا يعوض ولا يمكن أن يهبه أحدهم إن نزع الحياة منهم.. وزيادة في وقع الخطاب النفسي عليهم، وهو أن يأتي المولى عز وجل بخلق غيرهم، وقد جعل الخطاب هنا مبهم وغير معرف.. ليتترك العنان لأنفسهم لتصور من هم الخلق الذين سيفضلهم الله عنهم، ويأتي بهم بدلانهم وفي هذا حث داخلي للنفس على مقاومة هذا التغيير والإصرار على حدوثه، ولأنهم لا يملكون دفع ذلك حيال الله سبحانه، فما عليهم إلا إطاعة مولاهم وسيدهم لكي يرضى عنهم ولا يستبدلهم لأن ذلك لا يعجز الله مطلقا، وهذا هو جوهر الخطاب النفسي". (98)

إن الناس في حاجة إلى تذكيرهم بأنهم هم الفقراء إلى الله، ولتذكيرهم بعجزهم أمام غنى الله وقوته، وأن الله غني عنهم، وأنهم حين يدعون إلى الإيمان بالله وحمده فإن الله غني عن عبادتهم، وهو المحمود بذاته. وأنهم لا يعجزون الله فهو إن شاء أن يذهبهم ويأتي بخلق جديد من جنسهم أو من جنس آخر يخلفهم في الأرض، وذلك عليه يسير، والناس في حاجة أن يذكروا بهذه الحقيقة، لئلا يركبهم الغرور وهم يرون أن الله -جل وعلا- يعنى بهم، ويرسل إليهم الرسل ويجاهد الرسل أن يردوهم عن الضلالة إلى الهدى، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور. ويركبهم الغرور فيظنون أنهم شيء عظيم على الله! وأن هداهم وعبادتهم تزيد شيئا فيملكه تعالى! والله هو الغني الحميد.

**الخطاب الخامس عشر:** "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات 13) (99)

يحمل النص في بنيته أبرز الأهداف بشكل يربط الجانب النفسي بالاجتماعي حيث يذكر في البداية أهم الحقائق التي تتمثل في تأكيد أن الأصل واحد هو الذكر والأنثى، وهذه تقرر في طبيعتها حقيقة نفسية اجتماعية، تؤكد على أن عماد الحياة ووجودها لا يقوم إلا بالذكر والأنثى. وبقوله "إنا

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

خلقتناكم" حقيقة أن الله هو مصدر البشرية جمعاء وهو خالقهم جميعا بقدرته، ليس بواسطة أو عبر آخرين، ولا يوجد لأحد خلق خاص به، ولا لأحد جيلة يتميز بها عن غيره. وفي قوله "من ذكر وأنثى" إشارة صريحة إلى أن خلق الإنسان هو من جزء من الذكر "الحيوان المنوي" وجزء آخر من الأنثى "البويضة" فإذا كان خلق آدم من طين، فنسلهم نساء مهين". (100)

ويقرر حقيقة اجتماعية - نفسية طالما انقلب عليها الناس وهي الأنوثة والذكورة، فيؤكد أنهما متساويين في المصدر، مما يعني وجوب التساوي بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا يجب أن ينعكس في حياة الناس فلا يفرقوا بين ذكر وأنثى، مما يقي البشرية من غلواء التطرف والغلو.

"وجعلناكم شعوبا وقبائل لا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب أو الشعب التي هي الطبقة الأولى للطبقات التي عليها العرب. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العوائل، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل، وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها، ولتعارفوا تعني إن الحكمة التيمن أجلها رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعزي إلى غير آباءه لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب.. ثم يبين الخصلة التي بها الإنسان يكسب الشرف والكرام عن الله تعالى". (101)

سواسية في إنسانيتهم فهم من أب واحد وأم واحدة، وهذه المبادئ تخدم المصالحة بين الناس فتجعلهم يقبلون على حب بعضهم بعضا، مؤمنون بأن رابطة الإنسانية تشدهم إلى بعضهم بعضا.

والهدف ليس الصراع كما يرى بعض العلماء الذي صوروا العلاقات بين الشعوب علاقات تناحر وصراع، ولكن المولى عز وجل حدد بأن هذه العلاقات تقوم على التواصل والتعارف والتكامل".

ويبرز الخطاب حقيقة ذات عمق نفسي واجتماعي، وهي عملية التفاضل والتفاخر بين الناس، فيقرر أن لا فرق بين قبيلة ولا شعب ولا أمة، الا بقيمة التقوى.. لأن التفاضل قيمة ليست دنيوية وليست مادية، بل هي قيمة أخروية، هي قيمة التقوى، والتقوى أمر يختص به الله وحده، فرباط الشعوب والقبائل يجب أن لا يعتد بها في التفاضل بين الناس. وهذه المعاني في النص تلقي حقائق اجتماعية ونفسية هامة لو أقيمت في الحياة لما عانت البشرية، من أي صراعات وانحرافات

بتاتا. (102)

## المبحث الثاني

### المخرجات النفس - اجتماعية للخطاب القرآني العام

يتضمن الخطاب العام المباشر في القرآن الكريم المبدوء بقوله تعالى "يا أيها الناس" حشداً من المكونات اللغوية والنفسية والاجتماعية التي تطرق القلوب، ويثير النفوس، وتوقظ العقول، حيث أستعمل لغويا ألصق الكلمات التي تحمل عمقاً نفسياً اجتماعياً يجبر المستمع على حسن الاستماع. وفي هذا درس للدعاة والمصلحين وللأخصائيين النفسيين والاجتماعيين للاهتمام بمداخل الحديث. ومن المكونات النفسية-الاجتماعية في هذا الخطاب العام، أنه ينادي جميع المخاطبين بحقيقتهم وكيونتهم، بلفظ مشترك محبوب لهم جميعاً، يدخل تحت منطوقه كل الناس في كل زمان ومكان، دون تمييز أو تفریق، لا تفاخر أو تفاضل فيه، ليبطل على المستوى النفسي كل تكبر وغرور.

ولو تتبعنا جميع بدايات هذا الخطاب نجد أن البعد النفسي-الاجتماعي حاضر فيها جميعاً، حيث تصدر أغلبها بفعل أمر، أو أداة توكيد بـ"ن"، أو بقـد والفعل. وفي هذا دلالة نفسية من خلال العلاقة بين فعل الأمر والمعنى، كون الفعل يحمل في طياته لدى السامع الامتثال والطاعة لرب الناس.

فعل صعيد الخطاب المبدوء بفعل أمر ظهر العمق النفسي والاجتماعي خلال عملية الربط المتناسق بين الأوامر الأربعة التي تصدرت الخطابات العامة "أعبدوا، كلوا، أتقوا، أذكروا" مع بعضها البعض، ومع الهدف العام للخطابات، حيث قرن فيها العبادة بالأكل وبالتقوى والذكر، وكأنه يقرر بأن الهدف الأساس للوجود هو العبادة، التي تتم بمعناها الشامل بالتزود بزيادة بيولوجي يحققه الأكل من الأرض، ويزاد معنوي نفسي تحقيقه التقوى والذكر التي تمثل العمق الروحي له.

وذلك لما يحمل البدء بفعل الأمر من معايير نفسية تجعل المستمع في حالة استنفار نفسي وعقلي ووجداني، لما يراد أن يتحدث به المخاطب، من حيث لفت النظر والانتباه والتركيز، وهذه كلها مقدمات أساسية للتفكير. مما يتعاضد معاً بينه علم النفس أن قوة الانتباه هي أساس عمليات التفكير السليم التي تقوم على إنتقاء مثير من بين مثيرات أخرى، والتركيز على هذا المثير، وهذا أساس العمليات العقلية كالإدراك، والفهم، والتفسير، والتحليل، والتركيب، والتنبؤ، والتفويض... إلخ.

كما ظهر البعد النفسي-الاجتماعي في تنوع استخدام ألفاظ معينه لفعل الامر مثل فعل "أعبدوا" الذي يعني أن الناس سواسية في التكليف، مما يدخله لأعماق نفوسهم باعتباره نداء موحداً للجميع. وباعتبارة خاطب فطرة التدين التي تفضي للإيمان وتعالج إشباع الحاجات الفطرية للإنسان التي يعتبر التدين من أهمها، مما يوسع قاعدة الأمور الفطرية التي جبل عليها الإنسان وبالتالي وجب إشباعها، لأن ذلك إشباعاً للحاجات الأساسية للإنسان كونه يمثل شقمهم في تكوين النفس البشرية.

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

كما وقد ظهر البعد النفسي-الاجتماعي في الفعل "كلوا" من حيث تساو قهمع الفطرة البشرية كونه ثلبيية لحاجة ضرورية للإنسان لامندوحه له عنها باعتبارة إشباعاً للشق الثاني في الكينونة البشرية المخلوقة من المادة، والتي تحتاج للأكل والشرب، والتي لا يمكن أن تستمر في الوجود دون تحقيقه.. لأن الله قد وضعه على سلم أولويات الحاجات البيولوجية.. كما أظهر ذلك فيما بعد سلم أولويات هرم الحاجات الذي وضعه "ماسلو"، حيث وضع الحاجات البيولوجية فيمقدمته.

وتعمق البعد النفسيين خلال الترابط بين فعلي الأمر "اعبدوا"، وفعل الأمر "كلوا" بقيام كلاهما على بعضهما البعض. لأن التكليف بالأكل هو للتزود بما يساعد ويقوى الانسان على العبادة.. باعتبار العبادة مفهوم واسع لا يقصد به الشعائر التعبدية فقط، وإنما يتسع لكل نشاط في الحياة. مما يعني بانه كما الأكل ضروري لبقاء وجودكم، فان العبادة ضرورية وهامة لبقاء إنسانيتكم.. فعدم العبادة هو كعدم الأكل في الهمية.. لأن كليهما إذا فقد يولد للإنسان عدماً، فكما يغذي الأكل الجسد، تغذي والعبادة الروح، وكلاهما ضروري وهام لبقاء واستمرار الحياة على طبيعتها.

ويزيد هذا الرابط بفعل الأمر "ولا تتبعوا خطوات الشيطان" وذلك ببيان العدو.. فربط بين امرين مهمين الاول ينمي أجسادهم ويحفظها من التلف والخراب ويعينها على المضي في طريق العبادة، والثاني ببيان العدو مصدر الخطر، الذي يشكل عامل هدم لأجسادهم بحرفهم عن الطيبات الحلال، وفي هذا الامر لطيفة نفسية واجتماعية تقول انتبهوا لخطر عدوكم.. فإنه عبر الماديات ومن خلال المأكولات والمشروبات والشهوات يزين لكم الأمور، فسدوا منافذ الشيطان بإغلاق أبوابها عليه.

وهذا يشيع جوأمّن الأمن والاطمئنان النفسي الداخلي، لأن الله قد أرحنامن البحث والتتقيب عن العدو، فشخص المرض، وحدد الاحتياطات اللازمة للبعد عنه، وبين الطريقة المثلى للتخلص منه. بفعل الأمر "اتقوا" باعتبارة يمثل تكامل الحلقة لكونه نتيجة مباشرة لأثر العبادة، والأكل الحلال، وكرر هذا الأمر "اتقوا"، لتتحقق العبادة، بالخوف من الله، وبالاكل الحلال، وإجتتاب الشيطان.

ولزيادة الوقع النفسي في الخطاب تنوعت الاضافة من قوله ربكم لقوله الله، مما يوحي وقعا على النفس أبلغ بكثير من تكرار نفس الاضافة، لأنه لو أعادها ثانية لما كانت أكثر وقعا على النفس.

وعضد العلاقة النفسية بين أفعال الأمر في جميع الخطابات ليستثير في النفس حقيقة ذاتية عضوية ترتبط بحقيقة نفسية اجتماعية فكرية، من خلال دمج أهم نعمتين للإنسان، نعمة الوجود، ونعمة استمرار الوجود. فانه سبب وجودكم الشخصي، وهو منمنظار حياتي مصدر رزقكم واستمرار حياتكم، فلا تقلقوا على هذين الأمرين.. فالحياة والأجل، والرزق هما من الله وحده، وهنا دمج بين

#### د. خضر عباس

نعمة الخلق والوجود للإنسان، ونعمة الاستمرار بالرعاية للإنسان المتمثل في الرزق في الحياة، وهذا يرفع ويزيل من الناحية السيكولوجية عن النفس القلقمن المستقبل والاكتئاب في الحاضر. كما وقد زخرت الآيات ذات الخطاب التقريري التوكيدي، بقدر الجملة الفعلية، بكثير من المعاني النفسية والاجتماعية، فبدء الخطاب بصيغة خبرية تقريرية مسبوقه بأداة تقرير وتوكيد، يحمل في طياته جواً نفسياً مريحاً للمستمع، يخترق جدار المكان وحاجز الزمان، ببيان أن الرسول حق، وأن الرسالة حق. وهذا تقرير لا يحتاج لمراجعة لأنه قد أمرهم به مسبقاً، ولا حاجة للتكرار، فالأمر أصبح واقعاً وانتهى، يتوجب الاقتناع به لكونه حقاً من الله، وليس لكم إلا الطاعة والالتزام. وفي هذا طرق لقلوب الناس بتذكيرهم بحقيقة أخرى واقعة لامحالة.. تتبني على حقيقة الخلق السابقة، لأن الموت على الناس حقيقة، وبالتالي البعث هو أيضاً حقيقة، لأن المنطق يقود لهدفية الحياة وعدم عبثيتها، وأن هناك حياة بعد الموت، والتذكير بهذا حق بيني على حق. كما ويظهر العمق النفسي-الاجتماعي بالتوكيد بصيغة السؤال الاستنكاري الذي لا يجيب عنه بشكل مباشر، وإنما يجيب عنه بالمخالفة.. أي بالأضداد تعرف الأشياء. وذلك بالتعرف على حقيقة الميلاد للإنسان، ومامر به من مراحل، والتسليم بهذه الحقيقة بوجب بالمقابل أن يؤمن بالبعث بعد الموت فلا حاجة لتوكيد الخلق، إنما الحاجة للتفصيل ليعقدوا مقارنة بين الوجود الأول والثاني. كما وقد حدد هذا الخطاب الرباني العام، عدة حقائق كلية قصد منها أن ترسى في كل نفس وعقل، وتستقر في كل قلب، حتى تغدو جزءاً لا يتجزأ من كينونة الإنسان.. فقرر أن مصدريه المنشأة للإنسان موصولة برب الإنسان، ومصيرية الوجود لهذا الإنسان أيضاً موصولة برب هذا الإنسان ولفظ رب على المستوى النفسي والاجتماعي، يوقظ التذكير بما يمثل رب الأسرة في النفس من معاني المحبة والرعاية، فربكم يحبكم ويحنو عليكم، ويقدم لكم الرعاية والعناية دون مقابل، سوى المحبة والطاعة.. وهذا يجعل الأمور ترد لنصابها الحقيقي ومصدرها الأساسي فلا يغتر الإنسان. وهذا المنطق يولد للإنسان نفسية التواضع والتذلل، ويريح من أمراض نفسية هو في غنى عنها.

ويزيد العمق النفسي في الخطابات ببيان أن الخلق لم يقتصر عليكم بل يمتد لمن قبلكم مما يثير لدى الشخص تعلق ذاتي ونفسي بمصدر وجوده.. كونه خلقه ولم يتركه يكابد عناء البقاء، فسخر لهما في الأرض السماء، مما يستوجب رد النعم لأصحابها ولمصدرها الحقيقي، وتغدو العبادة عملية استحقات طبيعي لرب الناس. وترسيخ هذه الحقيقة على المستوى النفسي تفتح مجالاً لتعلق الناس بمصدرهم، وتردهم لخالقهم الذي أنشأهم، وتصلهم نفسياً بالمصدر الذي ينسأه كثير منهم.

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

وفي هذا بيان لعملية الأصل وعملية التواصل، فمن حيث الأصل تعرف لانسان بمصدر وجوده، ومن حيث التواصل، تؤكد على انه ليس نشازا ينقطع وينتهي، إنما هو امتداد لغيره، وغيره امتداد له، مما يعمق مفهوم الذات لديهم خلال وصلة بخالقة ووصلة بالآخر الذي سبقه والذي يلحقه. كما تظهر المعاني النفسية والاجتماعية في الخطابات ببيان وحدة الزوجين وتساويهما، وهذا يعني تصحيح النظر للمرأة بإقامة العلاقة بين الجنسين على أساس من حقائق الفطرة التي خلقها الله، حتى لا يكتنفها الغموض في كل زمان ومكان، حيث ليس لأحد فضل على أحد في النوع والجنس فالكل من رب واحد، ومن رحم واحد.. نتاج التزاوج بين زوجين، مما يبطل جميع النظريات التي تزعم بأن المرأة جنس منحط عن الرجل، والتي امتهنت حقيقة الإنسان ومصدريته وحطت به لمستوى الحيوان كذلك النظريات التي لم تحترم هذا التفرد بإنسانية للإنسان، وهذا قمة الراحة النفسية وحل للمشاكل الاجتماعية بالربط بين سبب الوجود الأساسي الله، والسبب الثانوي التناسل. والخطابات تكتنز في ألفاظها وتراكيبها بجو من الراحة النفسية بشكل كبير، بقربها من جو الأسرة والعلاقات الحميمة فيها.. وفي هذا دعماً للذات البشرية على الجانب النفسي والاجتماعي حيث أن قاعدة المساواة في المصدرية تمنحهم قاعدة المساواة في الحقوق، كون خلقهم المباشر من الله، أو غير المباشر بالتناسل بين الزوجين من الرحم، وإعطاء قيمة للمصدر الذي أوجد بواسطته الحياة، والذي بدوره لا تستمر الحياة. وبهذا رفع من رصيد المصدر الثاني (الأرحام) فجعلها بين الناس بمنزلة عالية لا يصلها شيء، حيث قرن التقوى بها، وجعلها هي صلة الوصل بين الناس.. وبهذا أظهر بعداً نفسياً اجتماعياً خلال وصل الإنسان بشكل يومي بالله، ورسخ حقيقة الترابط الوثيق بين الله وبين الرحم، ولم يعب على الناس أن يسأل بعضهم بما للأرحام من حق عليهم. كما وقد أظهرت الخطابات جملهم الحقائق والمعاني النفسية والاجتماعية على الإطلاق، حيث قررت أن التنوع على مستوى الجماعات والشعوب والقبائل والأمم هو من الله، بهدف التعارف والتواصل والتكامل لإحياء الأرض والبشرية.. وأن الهدف من هذا التنوع ليس الصراع والافتتال والاختلاف، كما نظر لذلك كثير من علماء الاجتماع الغربيين الذي صوروا العلاقات بين الشعوب علاقات تناحر وصراع، وحدد حقيقة ذات عمق نفسي واجتماعي بالغاء عملية التفاضل والتفاخر، على اسس دنيوية ومادية، وجعل التفاضل "التقوى" كقيم معنوية أخروية، وهذه الحقائق النفسية والاجتماعية لو أقيمت في الحياة لما عانت البشرية من الصراعات والانحرافات في حياتها. كما تقرر الخطابات حقيقة نفسية واجتماعية هامة بأن حقيقة الفقر والغنى من الله.. فلا يجعلها الناس معياراً للعلاقة بينهم. لأنها في النهاية قيم زائلة وقانية. والله فقط هو القيمة الباقية، وهم جميعاً في حاجة إليه، فهو الغني الذي يهب الغنى لمن يشاء وينزعه عن من يشاء، وغنى احدكم أو فقره لا

## د. خضر عباس

ينفع الله شيئاً ولا يضره بشيء.. وبمعان نفسية عميقة يهدد الناس بشكلمبهم بأن غناهم أو فقرهم، لن يرد عنهم قدر الله.. وفي هذا علاج لمرض الكبر والغرور، لأنمن يعتقد أنه بغناه قد يشتري ذم الناس، فهو خاطيء لأن هناك خالقاً عظيماً، مهما اغتنيت فأنت له الفقير .

إن جميع الخطابات بالمجمل بها عمق نفسي اجتماعي كونه يربط بين البنية اللفظية للخطاب، وتظهر في الألفاظ والكلمات والجمل التي تكون تراكيب الخطابات، علاقة نفسية واجتماعية وطيدة باستخدام الكلمات والجمل المتناسقة والمتساوقة مع الكينونة البشرية، والتي تثير في النفس عمقا نفسياً يورد حالات تصورمدى عمق هذا الترابط، فيستخدم أمثلة نفسيه واجتماعيه لصيقة بحياة الإنسان في جميع العصور والأزمان، كونها تمس كينونة النفس البشرية وجوهر كيانها وطبيعتها. وقد ظهرت تلك التجليات النفسية والاجتماعية في النص باستعماله ألفاظاً ذات وقع نفسي، تارة تكونمحبية للنفس، وأخرى تكونمنفرة لها. ومن هذه الالفاظ المحببة كلمة "الحق" و"الموعظة" و"البرهان" و"النور" و"الشفاء" و"الهدى" و"الرحمة" و"الفضل" .. وهذه الالفاظ كلها ذات وقع نفسي إيجابي للمستمع، الهدفمنه خلق ويجاد الدافعية نحو القبول والتسليم.. فكلمة "موعظة" تأتي تفصيلاً لهذا القرآن فتجمع بينمخاطبة العقل، والعاطفة، والسلوك.. لتربي الإنسان علىمستوى الفكر والثقافة والوعي، وكلمة "شفاء" تأتي تهذيباً للنفس والقلب وترسيخاً للأخلاق، وتطهيراً وعلاجاً لما يخالج الصدور والقلوبمن الأمراض النفسية.. ويقرر فائدة أخرى تدخل في نطاق الإشباع النفسي، والعلاج النفسي للإنسان، لكون القرآن بمثابة البلمس الشافي لكلما قد يشعر به الإنسان في حياتهم ضيق وقلق وتوتر وكبت واضطراب وحزن وكدر وعدم طمأنينة... إلخ. وهذا علاج نفسي لمن يؤمن به، وبالتالي رحمة لمن آمن به، سواء علىمستوى النفس كمركبمشترك أو علىمستوى الروح والجسد كمنهذه النفس، أو علىمستوى الحياة بمجملها.

ويمثل لفظ هدى ورحمة الشق الاجتماعي، حيث يتعلق الناس بهدى الله ويتعاملون فيما بينهم بالرحمة، فمن تبع الهدى فسيجازي في الدنيا والآخرة، وسوف يسير على هدى وفي خطى ثابتة، وبالتالي سوف تضلله الرحمة، وتواكب حياته المستقبلية، وفي هذا علاج ناجع وناجح لأخطر أمراض النفس وهو القلق بجميع أنواعه سواء قلقمن الموت أو المستقبل أو المرض، وغيرها. ويمثل لفظ "أنزلنا" تأكيداً على احترام إنسانية الإنسان، وتقديراً لما أودع فيهم من عقل، وهيمقرونة في ذهن الإنسان بشيءمحبوب له.. وهذا أسلوب نفسي تعليمي يؤكد على أن اختيار الكلمة التي لها وقع نفسي جيد بمقدورها التفاعل أكثرمن الكلمات التي لا ترتبط بواقع.. وفي هذا درس بليغ للعاملينمع الإنسان لأن يراعوا إنسانيته ويدخلوا إليه بمدخل لفظيهمحبية لنفسه.

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

ومن الالفاظ ذات الوقع النفسي المنفر استعمل ألفاظمباشرة غيرمحببة للنفسمن واقع الحياة، تؤدي لتحمل النفس حملاً على البعد عنها والتحلل منها، كلفظ "ولا تتبعوا خطوات الشيطان" فحشد كل المعاني الداخلية المنفرة التي تجبر الانسان السوى بالبعد عن هذا الذي يمثل الكره والعداء لهم وقد استخدمت الخطابات ألفاظ التخويف المبطن التي بها عمق نفسي يوحي بنسمات النصيحة، بالخيرية حيثمن طبع كل نفس حب الخير والسعى له، وجعل الخير هنا على إطلاقه ليترك لكل شخص الحرية في تصور هذه الخيرية بحسبما يحب، فالناس أصناف وأنواع كل يرى الخيريةمنمنظوره الخاص، مما يؤكد تأثر مفهوم الخير في حياة الانسان بحالته النفسية والعقليةمعاً. واستخدمت الخطابات المؤثرات النفسية لإيصال الرساله لجميع الناس، باستعمالمنافذ الإدراك، كالسمعي والبصري، والمؤثرات اللاحسيه كالتخيل والتصور، وما شابه ذلك.. فاستخدمتمثلاً الفاظ التخويف الواضح التي تدل على عمق الرابط النفسي في الخطاب العنيف "إن زلزلة الساعة شيء عظيم" فيتناسق البعد اللغوي في لفظ "زلزلة" مع العمق النفسي، حيث بها جرسمنمقطعين يقرع كلاهما جرس الأذن ويطنع فيه تصورا عميقا لا يقاربه أي لفظهما كان، كما أن بها وقع نفسي داخلي يوحي بكلمعان القوة التي تشد الإنسان شدا وتجذبه جذبا لكي يكون في حذرمن الحدث الآتي، وذلك بلغت النظر لمثال رهيب يقع في الحياة الدنيا (الزلال) ليفتح أمام السامع تصورا لهول الزلزلة الواقع يوم القيامة، والذي شتان بينهما. كما ويظهر في لفظ "الساعة" عمق نفسيمرة أخرى، لما في هذا اللفظمن إشارة إلى قيمة كان يغفل عنها الناس في الحياة الدنيا، حيث أن ساعة الدنيا هي إلا أوقات تنقضي، والساعة الحقيقية هي التي تنتظركم يوم الزلزلة والتي عبر عنها بأنها "شيء عظيم" والشيء بدون تعريف هو أكبرمما يخطر بالبالمن تصور للأهوال، فالعبارة شامة واسعة تتسع لكل تصور، وتشمل كلما يمكن للنفس أن تتوقعة، مما يفتح الباب علىمصراعيه لتصور هول هذا الشيء وعظمته دون حدود لأنه لا يقف على حقيقته أحد، فهو أعظممن التصور، مما يضيف على الموقفمطلع رهيب شديد، ومشهد ترتجف له القلوب.

كما ويتجذر في الخطابات البعد النفسي باستخدام ألفاظ ألصقا تكون بحالة الإنسان الحياتية، كمشهد المرصعة التي تذهل عما أرضعت، فتتحرك ولا تعي، وتتشغل بهولما ترى، عن أحب وألصق الناس بها، وتندهب عنه في أقرب وألصق الأوضاع به وهو حال الإرضاع له، والتعبير هنا أقرب للواقع النفسي والاجتماعي في علاقة الأم برضيعها في حال الإرضاع له، فتتشغل عنه وعن فطرتها وعاطفتها وعندما أودع فيها من حب وحنان، لهول الحال الذي هو سيد الموقف.

ويشدد المشهد في عمقه النفسي على السامع بالتعميم في الموقف، حيث يمتد في صورته تعبيرية رائعة لكل ذات حمل لجميع الكائنات، وهي تنفض عن نفسها كلما علق بهامن شيء، حتى لو كان

#### د. خضر عباس

الأكثر قرباً وحباً لها وهو الجنين في أحشائها.. وفي هذا تصويراً يدغدغ الجوانب النفسية التي جبل عليها الإنسان، منميل وحب وتعلق بين المرضعة ورضيعها، وبين الحامل وحملها. ويظهر كذلك التناسق على مستوى الألفاظ ومعناها النفسي "وترى الناس سكارى وما هم سكارى" فلفظ سكارى يعبر عن الحالة النفسية التي تشغل النفوس والعقول، فيتملكها الذهول المصحوب بالخوف الشديد، وتصبح وكأنها أصيبت بمرض الذهان (مرض نفسي) حيث يعيش العقل منفصلاً عن الواقع، فالعين تنظر والأذن تسمع والحواس تحس ولكن هول الموقف يجمدها عن العمل، لأن العقول قد سيطر عليها الذهول فلم تعد تكثر بما يدور حولها، وأصبحت تدور كما السكران. كما وتظهر الخطابات عمقاً نفسياً خلال السرد الحياتي لمراحل العمر، من النطفة حتى الهرم التي يرتد فيها الناس لمرحلة النكوص الطفولي "كَيْلَا يَعْلَمُنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً". تلك المراحل التي وضعت بين أيديهم صورة الحياة منذ انبثاقها، كصفحة مفتوحة للتدبر كي لا يطغون ويغترون، فيستعرض رحلة خلقهم، وقانون وجودهم في الحياة، التي تمتد مراحلها من داخل رحم الأم، وتنتهي بمرحلة أرذل العمر، مما يثير لدى النفس البشرية ان طول العمر ليس بهدف في الحياة، وأن طول العمر ليس بأفضليه لأنه يعود به لأسوء مراحل العمر، مرحلة الارتداد والنكوص العام على المستوى النفسي والجسمي. حيث يضيع منه كلما حرص على معرفته وإدراكه في حياته، ويبدأ الدماغ في الضمور، فيرتد طفلاً في عواطفه وانفعالاته، وذاكرته وتفكيره، وحسه ووعيه. ويظهر الخطاب عمقاً نفسياً في ضرب الأمثال، ويعتمد في ذلك الفعل المبني للمجهول كأسلوب أفضل لتقرير حقيقته البعث، ولم يستخدم الفعل المضارع لأن البدء به أبلغ من البدء بالفعل العادي. وفي هذا شد لنفوسهم وكيانهم للتاريخ السحيق، كونه يعرض بأسلوب نفسي رائع يتمثل في ضرب الأمثال لأنه أبلغ من أسلوب الحكاية، لأنه يلفت النظر ويقرع الأذن ويلوي العنق لكي يستمع إليه. والخطاب يعمق البعد النفسي باستعمال احرف وكلمات يكون لها وقعاً نفسياً أبلغ من أي كلمات اخرى لأنها توحى بوجود فعل الشيء، كونها مسبوقه بحرف ف، يضيف عليها التوكيد. مما يوطد العلاقة النفسية بين ضرب المثل، والتفاعله بقوله "فاستمعوا" كون الاستماع مثير للمثل الذي يوجب الانتباه لما سوف يعرض في احشائهم بيان.. لان الهدف من المثل ليس التسلية أو مجرد المعرفة، إنما يعني الإستماع تركيز الحواس على الكلام الذي يتحدث به المتكلم، والتركيز والانتباه أول أبواب الفهم والإدراك والاستيعاب.. وهذا ما يتفرد به علم النفس الإدراكي، الذي بين أن الإدراك السليم هو الذي يسبقه مثير مناسب حيث القوة والوضوح استخدام الإدراك الحسي بشكل جيد، بحيث لا تتم عملية الإدراك إلا عبر مثير يوجه إليه درجة مناسبة من الانتباه الذي يدخل للإدراك بشكلموزون، فحسن الإستماع هو مثير مناسب يولد استجابة سليمة.

## البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

ويظهر الخطاب عمق نفسي باستخدام أسلوب النفي المطلق " لن يخلقوا" مما يوحي للإنسان حقيقة نفسية، بأنهم تستنصرون بقوته أضعفمن أن يخلق ذباباً ولو استعان بأهل الأرض والسماء. واختار الذباب لأن فيه تحدياً نفسياً يحبط الإنسان عن الاستمرار في العناد، لأنه يضربمقومات الغرور والعناد التي تدفعهم للتحدي، فالذباب يفقدكم أعلى ما تملكونما يشكل إحباطاً لنفسيهم. كما ويجسد الخطاب عمقاً نفسياً خلال تشخيص أخطر مرض نفسي على الإنسان (الغرور) يجعله يغتر بنفسه.. فيتعالى على الله، وعلى عباده.. مما يوقعه فيمهاوي الردى، وينزع عنه كل رأي سديد وموقف نزيه، ويوقعه في شر نفسه، على نفسه.

### الخاتمة

#### أهم نتائج البحث:

- \* لقد تبين للباحث أن خطاب التعميم باستخدام لفظمشارك، أفضل وقعا وأكثر قبولا على النفس، من استخدام لفظ يفاضل ويميز بين المخاطبين، خاصة في حالة التكليف الموجة لهم بأمر ما.
- \* كما تبين للباحث أن الخطاب الذي يستخدم أدوات التنبيه، ولا يكون مبهماً، ويضاف لمعلوم، هو الأكثر تجاوباً مع النفس، لأنه يلفت النظر، ويترك السمع، ويستقر في الفؤاد.
- \* كذلك تبين للباحث أن الخطاب المبدوء بأمر من الناحية النفسية من أفضل المداخل لأنه يمثل الانتباه لمثير معين والتركيز عليه، كأساس للعمليات العقلية كالإدراك والفهم والتفسير والتحليل وغيرها.
- \* وتبين للباحث أهمية استخدام المؤثرات النفسية في الخطاب لإيصال الرسالة للمستمعين، واستخدام جميع منافذ الإدراك السمعي والبصري، والمؤثرات اللاحسية كالتخيل والتصور.
- \* كما تبين للباحث أن الخطاب الذي يأتي بصيغة خبرية تقريرية مسبوقه بأداة تقرير وتوكيد تضيء عليه جواً نفسياً مريحاً للمستمع.. كونه وقع وانتهى، ولا مجال للنفس حيالة إلا بالقبول والتسليم.
- \* كذلك تبين للباحث أن أسلوب التوكيد بصيغة السؤال الاستنكاري الذي لا يجيب عنه بشكل مباشر، ويجيب عنه بالمخالفة.. أسلوب له وقع نفسي جيد على المخاطبين.
- \* وتبين للباحث أن التناسب بين اللفظ والمعنى، يعزز عمق البنية اللفظية والنفسية لكلمتهما، واستخدام ألفاظ وتراكيب بينها علاقة نفسية وطيدة، يعمق الترابط النفسي بين النص ودلالاته.

## د. خضر عباس

\* كما تبين للباحث أهمية استخدام ألفاظمن الواقعمحببة للنفس، في حال المرادمن المستمع القبول والتسليم. واستخدام ألفاظمن الواقعمنفرة للنفس، في حال المرادمن المستمع التجنب والبعد.  
\* كذلك تبين للباحث أن أسلوب ضرب المثل وانتقاء الالفاظ التي تتناسبمعمقصود المخاطب، يكون لها علاقة نفسية بين المثل ومن يستمع له، كونها تشكل أولمداخل الفهم والادراك الصحيح.

\* وتبين للباحث أن استخدام أسلوب النفي المطلق، يقرر حقيقة نفسية هامة تتمثل في التأييس لمن يستمعمن تنفيذموقفما.

\* كما تبين للباحث أن الخطاب المباشر حول بيان الحقائق الهامة يريح المستمعمن البحث عنها.  
\* كما تبين للباحث أن استخدام ألفاظ وعبارات تمثل أخطر الأمراض النفسية التي تصيب الانسان كالعذوانية والبعي تخلق لدى المخاطبين حالةمن التوقف لمراجعة حساباتهم قبل فوات الاوان.  
\* كذلك تبين للباحث أن استخدم ألفاظ وعبارات بها عمق نفسي واجتماعي، هي بمثابة علاج وشفاء لبعض الأمراض النفسية، كالقلق والتوتر والكبت والخوف واليأس وعدم الأمان.. إلخ.  
\* وتبين للباحث أن اسلوب استخدام ألفاظ وعباراتمقرونة في ذهن الإنسان بشيء محبوب لديه، هو أسلوب نفسي تعليمي، يعني الكلمة التي لها وقع نفسي تتفاعلمع النفس أكثرمن غيرها.

### في ضوء نتائج الدراسة.. يوصي الباحث بما يلي:

- أن يعتمد الدعاة خطاب التعميم باستخدام لفظمشترك، فيممارسة الدعوة وخطاب المدعويين، باعتبار أن ذلك أفضل وقعا وأكثر قبولا على النفس،من استخدام ألفاظ تمايز وفاضل بينهم، خاصة في حالة التكليف الموجة لهم بأمرما.
- استخدام الدعاة الخطاب المعتمد على ألفاظ وجمل لها وقع نفسي واجتماعيمناسب بما يرادمن المخاطبين تحقيقه، اقتداء بالأسلوب الخطاب القراني العام.
- استخدام المربين والدعاة الخطاب المناسب لواقع الحال للمخاطبين لما لهمن وقع نفسي أقوى لدى المخاطب، ولأنه الأكثر تجاوبامع النفس لأنه يلفت النظر ويطرق السمع.
- إكثار المربينمن استخدام أسلوب الخطاب العام، كونه يدخل جميع المخاطبين فيمنطوقه، ويجعلهم سواسية في خطاب الأمر والتكليف.
- بناء جسورمن الثقة والعلاقة بين الخطاب الموجة للاخرين، وبين العمق النفسي والاجتماعي لهم، لما لهذا الأمرمنردود إيجابي على المخاطبين.
- تبني كلية الدعوة وأصول الدين الخطاب القراني العام، وتطبيقه أثناء الدعوة، وعدم الخلط بين أشكال الخطاب التي قد تساق فيمواضع ومواقف غيرمناسبة لها.

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

- إنشاء لجنة علمية من متخصصين في علوم القرآن والتفسير، وعلم النفس والاجتماع والتربية، للعمل على استخراج المنهج النفسي والاجتماعي التربوي من الخطاب القرآني.
- تكملة هذا العمل من خلال البحث والتنقيب في كتاب الله تعالى من أجل استخراج كثير من المناهج المعرفية والسلوكية، بدلاً من الاعتماد على مدارس غربية فقط.

#### المراجع والتوثيق

- (1) علوان، نعمان "الاساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي" الجامعة الإسلامية-غزة، كلية أصول الدين، كتاب مؤتمر "الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر"، م2-ص1391 (2005م).
- (2) أبو السعيد، خالد "أساليب البيان في القرآن والسنة" الجامعة الإسلامية-غزة، ص110، (ب-ت).
- (3) الشريف، عدنان "علم النفس القرآني" دار العلم للملايين، ص10 (2000م).
- (4) علوان، نعمان، م2-ص1392 (2005م) (مصدر سابق).
- (5) جبل، محمد حسن "فضل اللغة العربية خصائص اللغة العربية" دار الفكر العربي، ص32 (1986م).
- (6) أبو العينين، أحمد محمود "القرآن والصحة النفسية" جامعة الأقصى- غزة، المؤتمر العلمي الثالث، م2-ص683 (2000م).
- (7) شكري، أحمد خالد "الأعجاز النفسيمعناه وأدلتها وموقعه بين وجوه الإعجاز" جامعة الأقصى - غزة "المؤتمر العلمي الثالث" ص 771-772 (2000م)
- (8) شكري، أحمد خالد "ص774-776 (2000م) (مصدر سابق).
- (9) زهد، عصام العبد "الأعجاز التأثيري في القرآن الكريم" مجلة الجامعة الإسلامية- غزة، مجلة محكمة فصلية، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - غزة، سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد11- العدد2-ص135 (2003م).
- (10) الجرجاوي، زياد "فلسفة اعداد المعلم المسلم" الجامعة الإسلامية-غزة، كلية أصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر" م1-ص559 (2005م).
- (11) ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بنمكرم "لسان العرب" دار المعارف - لبنان، ص79 (1119م).
- (12) عبد الحميد، حسن علي "تعريف مصطلح البنية" موقع الثقافة الالكترونية، (2007م)

[www.thaqafa.sakhr.com/motanaby/manaheg](http://www.thaqafa.sakhr.com/motanaby/manaheg)

- (12) عبد الرحمن كاظم زيارة "مقدمة في علم البنى" المحور: الادب والفن، العدد: 2263 لسنة (2008) الموقع الالكتروني الحوار المتمدن، [www.uqu.edu.sa/page/ar](http://www.uqu.edu.sa/page/ar)
- (14) ابنمنظور، جمال الدين ابو الفضلمحمد بنمكرم، ص231 (1119م) (مصدر سابق).
- (15) البستاني، كرم " المنجد فى اللغة والاعلام" الطبعة الكاثوليكيه، دار الشروق، المكتبة الشريفة- بيروت، ص342 (1986م).
- (16) الرازي، أبي بكر محمد بن ابي بكر "مختار الصحاح" مادة "خطب" دار الكتب الملكية- بيروت، ص 180 (66هـ).
- (17) علوان، نعمان، م2-ص1393 (2005م). (مصدر سابق)
- (18) عطايا، اشرف. و ابو زينة، يحيى " تطوير الخطاب الديني" الجامعة الاسلامية- غزة، كلية أصول الدين، المؤتمر العلمي الدولي الثاني، الاسلام والتحديات المعاصرة، م1- ص686 (2007م)
- (19) اللوح، عبد السلام حمدان " وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي" مجلة الجامعة الإسلامية- غزة، عمادة البحث العلمي، مجلة نصف سنوية محكمة متخصصة، سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني عشر، العدد الاول- ص53 (2004م)
- (20) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود "الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل" دار الفكر - بيروت، م1، ص 224 (ب-ت).
- (21) الألويسي، شهاب الدين " روح المعاني" دار الفكر - بيروت، م1- ص181 (1978م)
- (22) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، م1، ص 225 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (23) الألويسي، شهاب الدين "م1- ص 183 (1978م) (مصدر سابق)
- (24) جبل، محمد حسن، ص 158 (1986م). (مصدر سابق)
- (25) قطب، سيد " في ظلال القرآن" م6، دار احياء التراث العربي-بيروت، م1- ص51، (1971م)
- (26) أبو السعيد، خالد، ص 66 (ب-ت) (مصدر سابق)
- (27) الأغا، إحسان خليل "مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم، في كتاب التربية الدينية للصف الاول الاساسي" مجلة البحوث والدراسات التربوية، في جامعة الأقصى-بغزة، مجلة محكمة نصف سنوية، المجلد الاول، العدد الاول، ص 21 (1998م).
- (28) قرآن كريم، سورة: البقرة، آية: 21.

- البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"
- (29) علوان، نعمان شعبان "دراسة بلاغية في كتابمعاني القرآن واعرابة.. للزجاج" مجلة الجامعة الإسلامية- غزة، عمادة البحث العلمي،مجلة نصف سنوية، سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد الاول- ص60 (1997م).
- (30) الصابوني،محمد على "صفوة التفاسير" ط1، دار الصابوني-القاهرة،م2- ص34 (1997م)
- (31) الزمخشري، أبو القاسم جار اللهمحمود،م1، ص 228 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (32) قرآن كريم، سورة: البقرة، آية: 169.
- (33) الألوسي، شهاب الدين "م1-ج3 - ص 138 (1978م) (مصدر سابق)
- (34) ابن كثير، الحافظ عماد الدين " تفسير القرآن العظيم"مكتبة دار التراث-القاهرة،م1- ص 203 (1203م).
- (35) قطب، سيد،م1 - ص 219 (1971م) (مصدر سابق)
- (36) شكري، أحمد خالد "م2-ص748 (2000م) (مصدر سابق).
- (37) الصابوني،محمد على،م1- ص 103 (1997م) (مصدر سابق)
- (38) قرآن كريم، سورة: النساء، آية: 1.
- (39) قطب، سيد " العدالة الاجتماعية" دار الشروق، بيروت، ص 23 (ب-ت).
- (40) قطب، سيد،م1 - ص 233 (1971م) (مصدر سابق)
- (41) قطب، سيد " الإسلام ومشكلات الحضارة" دار الشروق، بيروت، ص 64 (1979م).
- (42) الزمخشري، أبو القاسم جار اللهمحمود،م1، ص 493 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (43) قطب، سيد،م2- ص 235 (1971م) (مصدر سابق).
- (44) قرآن كريم، سورة: النساء، آية: 170.
- (45) أبو السعيد، خالد، ص 73 (ب-ت) (مصدر سابق)
- (46) قطب، سيد،م2- ص 606 (1971م) (مصدر سابق).
- (47) قطب، سيد،م2- ص 607 (1971م) (مصدر سابق).
- (48) قطب، سيد،م2- ص 608 (1971م) (مصدر سابق).
- (49) قرآن كريم، سورة: النساء، آية: 174.
- (50) أبو السعيد، خالد، ص 73 (ب-ت) (مصدر سابق)
- (51) أبو السعيد، خالد، ص56 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (52) أبو العينين، أحمدحمود،م2 ص656 (2000م) (مصدر سابق)

#### د. خضر عباس

- (53) فرحات، يوسف " أزمة الفهم في الصحوة الاسلامية" الجامعة الاسلامية- غزة، كلية أصول الدين، كتاب المؤتمر العلمي الدولي الثاني "الاسلام والتحديات المعاصرة"م2-ص18(2007م)
- (54) قطب، سيد،م2- ص 618 (1971م) (مصدر سابق)
- (55) قرآن كريم، سورة: يونس، آية: 23.
- (56) ابن كثير، الحافظ عماد الدين،م2- ص 412 (1980م). (مصدر سابق)
- (57) قطب، سيد،م4 - ص 404 (1971م) (مصدر سابق).
- (58) قطب، سيد،م4- ص 401 (1971م) (مصدر سابق).
- (59) قرآن كريم، سورة: يونس، آية: 57.
- (60) أبو السعيد، خالد، ص 73 (ب-ت) (مصدر سابق)
- (61) النسفي، ابو البركات عبد الله بنمحمد بن احمد بنمحمود "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" دار الكتاب العربي-بيروت،م1- ص167 (ب-ت).
- (62) قطب، سيد،م4- ص 404. (1971م) (مصدر سابق).
- (63) قطب، سيد،م4 - ص 402 (1971م) (مصدر سابق).
- (64) قرآن كريم، سورة: الحج، آية: 1.
- (65) قطب، سيد، م5 - ص 575 (1971م) (مصدر سابق)
- (66) أبو السعيد، خالد، ص 69 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (67) قطب، سيد،م5- ص 578 (1971م) (مصدر سابق).
- (68) أبو السعيد، خالد، ص 122 (ب-ت) (مصدر سابق).
- (69) قطب، سيد،م5- ص 579 (1971م) (مصدر سابق).
- (70) الصابوني،محمد على،م2-ص261 (1997م) (مصدر سابق).
- (71) ابن كثير، الحافظ عماد الدين،م1- ص 205 (1203م). (مصدر سابق)
- (72) قرآن كريم، سورة: الحج، آية: 5.
- (73) قطب، سيد،م5 - ص 580 (1971م) (مصدر سابق).
- (74) الشريفة،محمد حافظ " الإعجاز الطبي في القرآن الكريم" جامعة الأقصى - غزة، المؤتمر العلمي الثالث" ص665 (2000م).
- (75) قطب، سيد،م5 - ص 581 (1971م) (مصدر سابق)
- (76) قطب، سيد،م5- ص 583 (1971م) (مصدر سابق).

البنية النفسية - الاجتماعية في الخطاب القرآني العام، في قوله تعالى "يا أيها الناس"

- (77) قطب، سيد،م5- ص 584 (1971م) (مصدر سابق).
- (78) عفانة، عزو.. والمشهوراوي إبراهيم " أساليب البرهان في بعض آيات القرآن" جامعة الأقصى - غزة، المؤتمر العلمي الثالث"م2- ص 565 (2000م).
- (79) أبو حطب، فؤاد.. و صادق، أمال " نمو الإنسان منمرحلة الجنين الىمرحلة المسنين" مكتبة الانجلو المصرية-القاهرة ص 16 (1990م).
- (80) قرآن كريم، سورة: الحج، آية: 73.
- (81) ابن كثير، الحافظ عماد الدين،م3 - ص 235 (1203م) (مصدر سابق)
- (82) أبو السعيد، خالد، ص 88، (ب-ت). (مصدر سابق)
- (83) قطب، سيد،م5 - ص 630 (1971م) (مصدر سابق)
- (84) قرآن كريم، سورة: لقمان، آية: 33.
- (85) النسفي، ابو البركات عبد الله بنمحمد بن احمد "م2- ص 284 (ب-ت) (مصدر سابق)
- (86) النسفي، ابو البركات عبد الله بنمحمد بن احمد "م2- ص 285 (ب-ت) (مصدر سابق)
- (87) قطب، سيد،م6، ص 498-499(1971م) (مصدر سابق)
- (88) قرآن كريم، سورة: فاطر، آية: 3.
- (89) قطب، سيد،م6- ص 673 (1971م) (مصدر سابق).
- (90) قطب، سيد،م6- ص 674 (1971م) (مصدر سابق).
- (91) قطب، سيد،م6- ص 675 (1971م) (مصدر سابق).
- (92) قرآن كريم، سورة: فاطر، آية: 5.
- (93) أبو السعيد، خالد، ص 68 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (94) الصابوني،محمد على،م2- ص 528 (1997م) (مصدر سابق).
- (95) قطب، سيد،م6- ص 674 (1971م) (مصدر سابق).
- (96) قطب، سيد،م6- ص 675 (1971م) (مصدر سابق).
- (97) قرآن كريم، سورة: فاطر، آية: 15.
- (98) قطب، سيد،م6- ص 689 (1971م) (مصدر سابق).
- (99) قرآن كريم، سورة: الحجرات، آية: 13.
- (100) أبو حطب، فؤاد.. و صادق، أمال، ص 74 (1990م). (مصدر سابق).
- (101) الزمخشري، أبو القاسم جار اللهمحمد،م3- ص 569 (ب-ت). (مصدر سابق)
- (102) قطب، سيد،م7- ص 537 (1971م) (مصدر سابق).